

كتاب الزاد

للمعلم المفهومي

لبي جموعه و فرويد

سيطرة زنانيه المفتر
نظمي لسوفتا



0197078

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس التحرير: طاهر الطناجي

العدد ١٣٧ - دبيع الاول ١٣٨٢ - أغسطس ١٩٦٢

No. 137 — AOUT 1962

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢) عدداً في الجمهورية العربية المتحدة والسودان ١٠٠ قرش صاغ - في سوريا ولبنان ١٢٥.٠ قرشاً سورياً لبنانياً - في بلاد اتحاد البريد العربي بالبريد البحري ١٣٠ قرشاً صاغاً و (بالطائرة) ١٧٨ قرشاً صاغاً - في الامريكتين ٥ دولارات ونصف - فيسائر أنحاء العالم ١٧٠ قرشاً صاغاً او ٣٥ شلناً

اهداءات ٢٠٠١

احمد محمد حمدي

جراح بالمستشفى الملكي المصري

تفسير الأحلام

للحالم النفسي
سيجموند فرويد

تبسيط و تلخيص
الدكتور نظمي لوقا

حقوق الطبع محفوظة لدار الملال

مؤلف الكتاب

في السادس من شهر مايو عام ١٨٥٦ ، وفي مدينة صغيرة هي فرايبurg في مورانيا التي يسكنها خليط من الالمان والتشيك لايزيد عددهم على خمسة آلاف نسمة ، ولد طفل اسمه سيموند فرويد في بيت متواضع مكون من طابقين ، عتيق البناء ، منفصل عن سائر بيوت الجيران وواجهته عاطلة من الزينة والزخرف ..

ولد هذا العالم الذي سيعنى بالشذوذ النفسي في أسرة فيها الكثير من غير المألف .. فأمه الحسناء الورعة الرقيقة في التاسعة عشرة من عمرها ، وأبوه قد تيف على الخمسين .. وهو وحيد أبويه ، وله مع ذلك أخوة من زوجة متوفاة لأبيه هم أكبر من أمه سنا ، وله ابن أخ يكبره بعام .. وعلاقته بأبيه أقرب إلى علاقة الحفيد ، وعلاقته بأخويه الكبارين أقرب إلى علاقة الابن ، وعلاقته بابن أخيه أقرب إلى علاقة الأخ الأصغر ، ووضعه بالنسبة لابن أخيه يعطيه الحق في الاحترام .. وتقاربهما في السن يجعلهما أخوين ورفيقى لعب ولهما ، والوضع الواقعى يجعل العم سيموند عرضة للكلمات وصفات ابن أخيه جون .. فيحنق عليه ويجتمع في قلبه له النقيضان من حبه وبغضه ، ويكون في حرب مستمرة معه للمحافظة على هيبته السلبية ..

والاب القاسي يشير في الطفل المدلل من امه الخوف ،
فيدخل له ذلك الطفل الشعور بالمنافسة لانه يزحمه في
عطاف امه ورقتها ، ولكن ما أن يبلغ الطفل الثامنة حتى
يصبحه الاب في نزهاته ، وتتصل بينهما صداقه تزداد
على مر الأيام توطفدا .. ولكنها لا تستبعد من نفس
الطفل ذكريات الحسد والمنافسة ، فتجتمع النقياض في
عواطفه وتكون نفسه البافعة مسرحا لصراع السخائم
والمولادات ولتناقض الواقع والمفروض ومفارقة الحقيقة
والمنطق ..

ولم يكن هذا هو كل ما ادخلته الحياة من دروس
التناقض والصراع لذلك الطفل .. فقد شاءت ظروف
ديانته وقوميته التنسوية ان يجعله في امبراطورية
فرنسا جوزيف .. عرضة هو وأله للاضطهاد والتقطيع
ومصادرة الرزق والالتواء بالحقوق المدنية حتى اضطر
ابوه ان يهاجر به الى فيينا ، واضطرب اخوه الكبار ان
للهجرة الى انجلترا .. فأبوه واخوته كانوا من أهل
صناعة النسيج ..

وتم الصورة بأن يكون الانقلاب الصناعي على أشده
عند مولد سيموند ، فتضطرب الاصول الاقتصادية
والاجتماعية ، وتهتز التقاليـد الزراعية والقروية
والبورجوازية عموما .. بل يهتز في نفس الفتى مفهوم
الوطنية ومفهوم التعاطف الاجتماعي ، ولا يكون له
ملاذ سوى حنان امه الفياض ..

وفي العام الثالث من عمره ، ولدت شقيقته الصغيرة
فعرف الفيرة كما عرف التدليل .. ولهذا السبب ظل
فرويد الى ختام حياته يقول : ان أسعـد وأجمل أيام
عمره هي السنوات الثلاث الاولى من مراحل طفولته في
فرايبورج ..

والمعنى الخفي يتضح حين ينادي في كتبه العلمية أن الأساس التكويني للحياة النفسية عند الإنسان يتم في السنوات الثلاث والأولى من العمر ، وقد ظل يحمل بمواصف من تلك المرحلة إلى ما بعد ذلك بأربعين عاماً تقريباً أحلاًماً واضحة ، كانت عنصراً أساسياً من عناصر كتابه الباهر « تفسير الأحلام » ..

وفي فيينا ، شاء القدر لسيجموند فرويد الشاب أن يلتقي بأستاذ خارق للعادة في تأثيره الشخصي هو « أرنست بروكه » الذي يشير إليه في أحلامه بأنه الشيخ « بروكه » أو « بروكه » العجوز .. فقد كان ذلك الرجل فناناً في مغامراته وبحوثه العلمية ، يعتمد على فطنته وبصيرته الملمة .. فكان أشبه شيء في روحه الشاعرة بالفرنسي العظيم « باستير »

وفي معمل « بروكه » لوظائف الأعضاء قضى سيموند فرويد ستة أعوام يعمل ليلاً نهاراً ، وقد بهرته الابحاث الفسيولوجية الطريفة ، وقد وجده « بروكه » إلى دراسة المخ والأعصاب .. وأدى ذلك إلى تضحيّة غير هينة من الطالب الفقير الذي كان أول فرقته طوال مراحل الدراسة ، وهذه التضحيّة أنه تخلف بضع مرات عن دخول امتحان اجازة الطب ، فلم يحصل على تلك الاجازة إلا بعد ثمانية أعوام من الدراسة بدلاً من خمسة أعوام على الأكثر ..

وهنا تظهر أرياحية الأب الذي ترك لابنه العنان ، وهو معسر .. مع أن العمل في تلك الابحاث لم يكن ليؤدي إلى أية مزية مادية ، ولا سيما في نظر رجال من رجال الصناعة ..

وبعد التخرج لم يعمل بالطب إلا قليلاً .. والتقي وهو طبيب امتياز بعالم آخر هو « ماينرت » الذي وجهه

إلى جراحة المخ ، وسهل له — بعد ذلك — الحصول على منحة دراسية في باريس ليدرس الامراض العصبية على يد العلامة الفرنسي الكبير « شاركوا » ..
وفي سبيل تلك الدراسة ضحى فرويد بتضحية أخرى عاطفية ، إذ أجل عقد زواجه خمسة أعوام ..
وعاش في باريس في رهانية علمية ، وجرب بنفسه معنى الكبح لفريزته وفاء لخطيبته ..

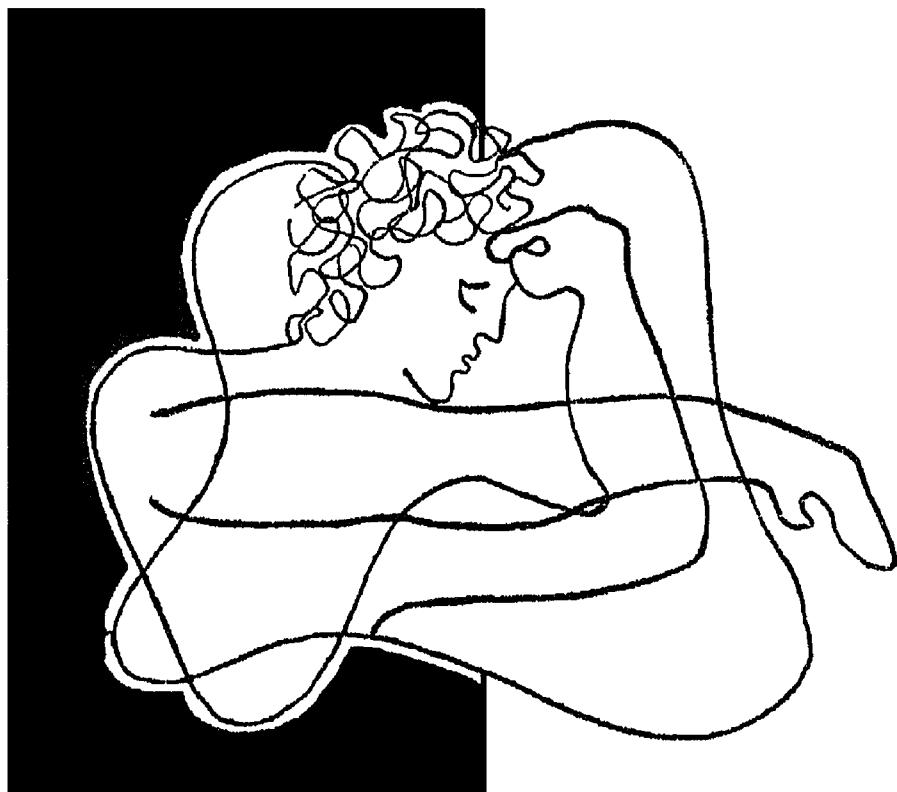
ومهما اختلفت الآراء في سيموند فرويد فهو من أكثر الناس تأثيراً في التيار العلمي .. ولا محيد من الاعتراف بأن العلم بعد فرويد غير العلم قبل فرويد ، ولا سيما فيما يتصل بجميع وجوه الحياة النفسية

والرجل بعد ذلك مثقف ثقافة واسعة ، ومحفوظاته من الشعر في جميع اللغات الحية تثير الدهشة .. وفطنته الفنية خارقة للمعتاد ، ولكن الكتاب علمي في مادته وأسلوبه ومنهجه لا يقدر على هضميه إلا أهل الصناعة المتخصصين ، فكانت مهمتي الأولى أن أجعل منه خلاصة ميسرة للمثقف العادي من سواد القراء في لغتنا العربية ..
وقد أمننا في هذا الكتاب بأطراف الموضوع ، وتركنا جانبنا ما لا يشغل إلا المتخصص ، حتى تأتى هذه الصفحات سائفة المذاق منطوية على خلاصة شاملة للباب ذلك البحث الخطير ..

دكتور نظمي لوقا

الفصل الأول

التراث العالمي وانهياره ● السبيل إلى التأويل
عام ٢٠١٥ ميلادية



التراث العلمي والاحلام

ان هدفي الاول ان اثبت بصورة قاطعة ان تفسير احلامنا على ضوء المنهج النفسي أمر مستطاع ، وان اتباع ذلك المنهج كفيل أن يدلنا على الصلة بين موضوع احلامنا وما تضطرب به نفوسنا من الشواغل .. حتى اذا تم لى الوصول الى هذه الغاية بینت للقاريء كيف ان ما يتراهى لنا في الاحلام لابد أن يتلوى مبناه وتغمض معالله بتاثير من النشاط النفسي ذاته

والاهتمام بمادة الاحلام قديم قدم النفس البشرية ..
يل ان الشعوب البدائية كانت تهول من أمر الاحلام وما يتراهى فيها تهويلا لا نعهد له لدى أبناء الحضارة ، ونلاحظ أن القدماء على العموم كانوا يعتقدون أنهم يرون في منامهم صورا ترد عليهم من عالم ما فوق الطبيعة .. فالاحلام إنما هي رسائل كائنات الهيبة فوق مستوى البشر ..
وتعبر عن تلك الإرادات الخارقة للطبيعة ، ولذا كانوا يهتمون بما يرونه في احلامهم ليعرفوا عنه مدلولات الفيسبوك وما سطر لهم في لوح القدر ..

وهذا ما كان القدامي من العلماء يسمونه فن « التأويل » أو فن « العرافة » ..

ثم جاء ارسسطو بتفكيره العلمي ، فكان أول من ارسى وجة النظر النفسية في دراسة الاحلام ، وكان المعلم الأول حاسما في قوله ان الاحلام ليست رسائل ترد

علينا من الآلهة ، وأنها لا تكشف لنا شيئاً من المصادر
الخارقة للطبيعة .. وإنما الأحلام عنده لون من النشاط
النفسي يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون
عليها في نومه ..

وأدخل أسطو عنصر التجريب ، كما استفاد من
التجارب العارضة ، لتكوين رأي واقعى عن الأحلام ..
فيذكر أن الحال قد يتعرض مؤثرات وهو نائم ، فيجسم
الحلم هذه المؤثرات ويضفى عليها المبالغة والتهويل ..
ولربما رأى النائم أنه يشوى وسط حريق ذات لهب ،
ثم يستيقظ فإذا بطرف من أطرافه قد عرضت له بعض
السخونة لسبب من الأسباب كاقتراحه أو تعرضه للظى
المدفأة أو حرارة المصباح .. !

وما أوسع الشقة بين هذا التفكير الواقعى المتزن وبين
قول من سبقوه أن الحلم لا تحدثه النفس النائمة ، بل
يرد على تلك النفس من لدن الآلهة في عالمهم العلوي ..
ولم يندثر هذا الرأى البدائى ، بل ظل سواد الناس
يرون الأحلام على ضررين : فالضرب الأول منها ، ما ينتج
عن شواغل الشخص الحاضرة .. كان يحلم الجائع أنه
ينال شبعه من وليمة حافلة بآطاب الطعام ، أو يحلم
الخائف بكابوس يروعه ، وليس لهذا الضرب من الأحلام
دلالة تنبؤية تصرف إلى المستقبل .. واما الضرب
الثانى من الأحلام ، فلا ينصرف إلى الحاضر بل ينحو
إلى المستقبل ، ويكشف النقاب عن جانب من محاجبات
الغيب ، وهذا الضرب من الأحلام قد يأتي على صورة
 بشارة ، أو نذير مسموع في الحلم ، أو رؤيا تصور
 ما سيحدث بعد حين بصورة واضحة مباشرة لا تحتاج
 إلى تأويل .. وأما أن يكون رمزاً يتأنله أهل الدراسة
 هذه النظرة إلى الأحلام عاشت قرونًا طويلة .. ولم

نزل صاحبة السلطان عند الاكثرین من عامة الناس في كل مكان ، وهي نظره كان من الطبيعي أن تتراءى لاقوام يرون العالم كله مسيرا بارادة أو ارادات خارجة .. فلا عجب أن تسقط هذه النظرة على عالم آخر غير عالمنا أشياء لا مصدر لها الا دخيلة النفس ..

ومع هذا لم تعدن الاحلام علماء يحاولون معالجة الموضوع بالعقلية العلمية ، وسنعرض الى نماذج من تلك المحاولات تبين لنا معالم الطريق التي سلكها بادئين من حيث انتهى أولئك السلف ..

وأول رأى تتناوله يدنا هو ما كتبه أحد علماء وظائف الأعضاء القدامى وهو « بورداخ » :

— ان الحلم ليس تكريرا لما يمر بنا في اليقظة من خير او شر ومتعة او تعزز .. بل العكس هو الصحيح ، فالارجح ان الحلم يرمي الى تفريح عقلنا من كل هذه الانطباعات كى يوفر لنا الراحة من عباء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشر ..

وهذا رأى يكاد يكون فريدا في بايه ، لأن الكثرة من المؤلفين والكتاب يرون في الحلم نوعا من الاستمرار لما كان يشغل النفس في حال اليقظة .. وهذا « هافنر » يقول :

— الحلم ان هو الا استئناف على نحو ما لحياة اليقظة ، واذا تأملنا أحلامنا وجدنا أن هناك باستمرار صلة بينها وبين الامور التي كانت تشغل تفكيرنا قبل النوم ، ومهما خفيت تلك الصلة ، فالملاحظة الدقيقة تستطيع أن تدلنا على اتصال ولو دقيق بين ما رأينا في الحلم وما وقع لنا في النهار السابق ..

ولعل «فيجانت» كان أشد الجميع وضوحا في معارضته رأى «بورداخ» فيقول :
— أن الحلم لا يبعد بنا عن الواقع ، بل هو على العكس يعود بنا ونحن ننام إلى ما ابتعدنا عنه من شواغل اليقظة ..

أما الفيلسوف «إي . ناص» فيقول :
— إننا في الغالب ندور في أحلامنا حول الموضوعات التي كان لها أكبر الأثر في وجداننا .. وهذا يدل على أن مشاعرنا لها دخل كبير في خلق أحلامنا .. فمن كان طموحاً دارت أحلامه حول أكاليل الفار ، ومن كان عاشقاً دارت أحلامه حول معبودة قلبه !

وهذه الأقوال المقتبسة كافية لبيان التناقض في تحديد العلاقة بين مادة الأحلام وحياة اليقظة .. ذلك التناقض الذي لفت نظر «هيلد برانت» فكتب يقول :

— أن الحلم شيء مقطوع من الواقع الذي نعرفه في يقظتنا اقتطاعاً تماما .. حتى أنه يسوغ لنا أن نقول أن الحلم له وجوده المستقل بذاته كالجزيرة المنعزلة عن الشاطئ ، وبينهما بحر لا يمخر له عباب .. فالحلم بهذه الصفة يسلد على الواقع المألف ستاراً كثيفاً ، ويحررنا من سلطانه ، ويجعلنا نعيش في فترة الحلم قصة مختلفة التركيب كل الاختلاف عن قصة حياتنا الحقيقة .. ولكن في الوقت نفسه ، نلاحظ أن هناك تياراً في الأحلام يرتبط بواقع اليقظة مما يدل على أن استقلال الحلم عن اليقظة ليس استقلالاً تماما .. بدليل أن الواقع المفردة التي تكون منها قصة الحلم مستمدة حتماً من تجاربنا الدهنية التي تكونت في اليقظة ، ولذا فمهما بلغت درجة الحلم من الغرابة ، أو السخافة فلبنه بنائه مستعاره

نماز نحن و بالنسا خطر اعیننا راهه ما همچنان

* * *

ولكننا نلاحظ أحياناً ما يبدو متعارضاً مع ذلك الرأي الآخر .. وأعني بذلك أننا قد نرى في الحلم بعض التفاصيل التي نعتقد أنه ليست لدينا فكرة عنها فيما سبق من خبرات اليقظة ..
وأطرف مثل أعرفه لذلك ما رواه « ديلبوف » من أنه رأى فيما يرى النائم أن الثلوج قد غمر فناء منزله ، فطمـرـ فيما طمر - اثنين من الزواحف الصغيرة من نوع الحرباء حتى أوشكـتاـ أن تتجـمـدا .. فرق لهما قلبـهـ ، ورفعـهماـ من الثلـجـ ، ويسـرـ لهـماـ التـدـفـةـ ، ثم وضعـهماـ في طـاقـ بالـجـدارـ ، وقدمـ اليـهـماـ من الاـورـاقـ الـخـضـراءـ لـنبـاتـ وجدـ نـفـسـهـ وـهـوـ فيـ الـحـلـمـ يـعـرـفـ اـسـمـهـ الـلـاتـيـنـيـ بدـقـةـ .. وـنـظـرـ إـلـىـ الـحـربـاءـينـ فـاـذـاـ موـكـبـ منـ تـلـكـ الزـواـحفـ الصـغـيرـةـ تسـلـقـ الـحـائـطـ زـاحـفـاـ نحوـ الطـاقـ .. !

ولما استيقظ « ديلبوف » من ذلك الحلم ، عجب أشد العجب لانه لم يكن يعرف في يقظته الاسم اللاتيني لذلك النبات الاخضر .. وأخذ ينقبه في القواميس ، واذا به بعد الاسم الذي عرفه في الحلم صحيحا !

ولم يكن من المستساغ تفسير ذلك بعامل الصدفة.. ولذا شعر « ديلبوف » بأن في الأمر لفزاً ، وظل هذا اللفز يثير الفيلسوف بغير جدوى ستة عشر عاماً إلى أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه ، فرأى عنده ألبوماً به نماذج من الأزهار المحففة التي تباع في سويسرا للسائحين ، وعلى الفور تذكر شيئاً قدّرماً جداً يرتبط بهذا السجل السياحي ، ففتحه بلهفة وأذاً به يجد نموذجاً لذلك النبات الذي رأه في الحلم ، ووجد تحته ذلك الاسم

اللاتينى مدونا بخط اليد .. وبخط من ؟ .. بخط « ديلبوف » نفسه !

وعندئذ فقط عرف « ديلبوف » حل اللغز الذى حيره ستة عشر عاما .. فقبل حلمه بعامين كانت اخت صديقه الذى يزوره في ذلك اليوم تقوم برحمة شهر العسل ، ومرت في طريقها بيت « ديلبوف » ونزلت ضيفة عليه ، وقد أحضرت معها من سويسرا ذلك الألبوم وفي نيتها أن تهديه إلى أخيها ، وتذكر « ديلبوف » أنه ساعد العروس بأن كتب بخط يده تحت نموذج كل نبات في الألبوم اسمه العلمي باللاتينية مستعينا في ذلك بأحد المتخصصين في علم النبات ..

وهذا يبين لنا أن ما نظنه لغزا في الحلم ، لابد أن يكون ذكرى واقعية منسية !

ومن طرائف الأحلام أيضا أن ما يعجز عن التعرف إليه في حلم ، قد يقوم حلم آخر بدور المذكر فيه ، ومن ذلك ما رواه أحدهم :

— رأيت فيما يرى النائم ، ذات مرة ، حسناء ذهبية الشعر تطلع اختي على قطعة من أشغال التطريز ، وشعرت في الحلم أن وجه هذه السيدة غير غريب عنى ، وأننى لابد قد رأيتها من قبل أكثر من مرة ، ولما صحوت من النوم ، ظل وجه هذه الحسناء ماثلا أمامى بوضوح .. ولكن ذاكرتى لم تسعنى بالتعرف على شخصيتها ، فيُست من ذلك ، وأغمضت عينى مرة أخرى .. ولم أبى أن استفرقت في النوم ، وإذا بي أرى الحلم السابق ، وإذا بي انتهز الفرصة وأسأل تلك السيدة وأنا في الحلم أين عسائى رأيتها من قبل ؟ .. فدهشت وقالت لي : هل تسيت حقا شاطئ البحر في موضع كذا ؟ .. وعندي

صحوت من نومي ، واستطعت في هذه المرة أن أستعيد في ذاكرتي كل ما يتعلق بظروف تعرف إلى هذه السيدة الحسناء ..

وبديهي أن فترة الطفولة هي أهم مورد تستمد منه الأحلام التفاصيل المهجورة والنسية ، بحيث أن الشخص يعجز في كثير من الأوقات عن تذكر خبراته السابقة ، ويظن أن الحلم أتاه بمعجزة ليس له بها سابق عهد ..

ولعل من المناسب أن أذكر في هذا الصدد حلماً لي شخصياً ، فقد رأيت فيما يرى النائم رجلاً أدركت أثناء الحلم أنه طبيب مسقط رأسه ، ولكن ملامحه في الحلم لم تكن واضحة ، بل كانت متداخلة في ملامع مدرس كان يعلمني وأنا في المدرسة الثانوية .. وما زلت التقي به إلى اليوم ، فلما قمت من النوم أدهشتني أن تتدخل ملامح هذين الرجلين ، وذهبت أسأل أمي عن شكل ذلك الطبيب الذي كان يعالجني في طفولتي الأولى ، وكانت قد انقضت عند حدوث ذلك الحلم ثمانية وثلاثون عاماً منذ آخر مرة رأيت فيها ذلك الطبيب ، واعتقد أنه لم يخطر على بالى مرة واحدة خلال تلك الأعوام التي تقارب الأربعين ، فقالت لي أمي : أن ذلك الطبيب كان أعزور ، وأدركت على الفور سر تداخل ملامحه في ملامع ذلك المدرس ، لأن المدرس أيضاً كان أعزور !

ويلاحظ الدارسون أيضاً أن المادة التي ينتقيها الحلم ليست عادة هي أهم الذكريات وأخطرها شأنها من وجهة نظرنا في حال اليقظة ، بل هي في الغالب أتفه التفاصيل وأكثرها خفاء وغموضاً ..

وفي هذا الصدد يقول « هيلد برانت » :

— ومن الملاحظ الذي يسترعى الدهشة أن الحلم

لا تتخير عناصره من أكثر الأحداث جلاءً وإثارة ، بل من نهاية التفاصيل التي أهملتها سجلات الذاكرة إذ غبر عليها الزمن .. ولذا نشاهد أنه قد يعصر الحزن قلوبنا لمصاب عائلي فادح ينفي عن إجفاننا النعاس موهنا من الليل .. حتى إذا أخذ الكري أخيرا بمعاقد الاجفان ، إذا بنا لا نرى في الحلم شيئاً يتصل عن قرب أو بعد بذلك المصاب الجلل كأنما ضاق عنه من رقعة الحلم ما يتسع لنوبة مضحكة في وجه انسان غريب رأيناه عرضاً بين عابري السبيل ، ولم يشغل من اهتمامنا الا أقل القليل !

وقد احتدم الخلاف بين المؤلفين حول مصادر الاحلام، ولكننا نستطيع أن نلخص آراء العلماء إلى أربعة من تلك المصادر هي :

- ١ - اثارات حسية تأتي من خارج الجسم
- ٢ - اثارات حسية تأتي من الجسم ذاته
- ٣ - اثارات عضوية باطنية
- ٤ - اثارات نفسية خالصة

وكلنا نعرف بالتأكيد النوع الاول من هذه الاثارات التي تحدث لنا ونحن نائم ، فقد يسقط ضوء ساطع فوق وجوهنا ، او تصل ضوضاء الطريق او الجيران الى آذاننا ، او تشير رائحة نفاذة اغشية انوفنا ، او ينكشف الغطاء عن جزء من أجسامنا ، او يلتوى لنا ذراع تحت جنوبنا ، او تلدغنا احدى الاهوام ، وفي هذا الصدد كتب «يسن» :
 — كل صوت لا تميزه اذن المساء تماماً ، وهو نائم ،
 لابد أن يشير صوراً تتسلق معه في الحلم .. فمن يسمع هدير الرعد وهو نائم حرى أن يحمل بساحة القتال ، ومن يسمع صباح الديك يخاله أصوات استغاثة ، أما إذا

تكشف جزء حساس من الجسم أثناء الليل وأصابته
شعريرة البرد ، فما أحرى النائم أن يحلم حينئذ أنه
يمشي في الشارع عاري أو يسقط في بركة من الماء البارد ،
ومن يدخل رأسه تحت الوسادة وهو يتقطب جديراً أن
يحلم بصخرة عظيمة تتأرجح .. وهكذا

ويروى « ماير » أنه رأى في الحلم ذات ليلة عصبة من
الرجال يهاجمونه ويلقون به على الأرض ، ثم يدقون
مسماراً كبيراً بين أصبعي قدمه ، وفيجأة استيقظ من
نومه ، فإذا به يجد عوداً من القش قد دخل بين هذين
الاصبعين عفواً !

ولا حاجة بنا إلى الاستطراد في ذكر التجارب الطريفة
الكثيرة التي أجريت في هذا الموضوع ..
وكلنا نعرف كذلك أنواع الأحلام التي مصدرها
احساسات في داخل الجسم مثل الجوع والعطش والرغبة
في التبول ..

وقد آن لنا الآن أن نعرف لماذا يأتي النسيان على
معظم الأحلام بعد اليقظة ، وما أكثر ما نشعر أننا حلمنا
ولا نتذكر بماذا حلمنا .. وحتى ما نتذكره غالباً ما يكون
ناقصاً مشتاً بحيث نشعر أن ما احتفظت به ذاكرتنا
من الحلم جزء ضئيل مما أتي عليه النسيان ..

ومع هذا فهناك أحلام ثبتت في الذاكرة بشكل غريب ،
وأستطيع على ضوء تجربتي الخاصة أن أقول أنني حلت
أحلاماً لمراضي ترأت لهم في منامهم قبل ربع قرن أو
أكثر .. بل وأستطيع أنا شخصياً أن أذكر حلماً معيناً
لي رأيته منذ نحو أربعين سنة ، ومع ذلك لم يزل حيا
نابضاً في ذاكرتي .. وهو تناقض غريب ليس من السهل
على الذهن أن يجد له تعليلات مقبولاً إلا بعد اعمال الرأي

ويقرر الباحثون أن تذكر الاحلام تكتنفه صعاب كثيرة ، لأننا نميل في حال اليقظة الى ملء الفراغات الموجودة في الحلم بأحداث أو أقوال متخيلة ونحن لا ندرى .. لأن العقل الانساني يميل الى الربط بين الاحداث المترفة برباط منطقى ، وهذا من شأنه أن يزيد في صعوبة اعتمادنا على الاحلام باعتبارها واقعا نفسيا يفيد في التحليل والعلاج ..

ومهما يكن من شيء ، فان للحلم خصائصه السيكولوجية التي تختلف عن خصائص التفكير العقلي .. فالتفكير العقلى يتوالى في تصورات أو معان مجردة وهو في حال اليقظة ، أما في حال الحلم ، فان الفكرة تتشكل في صورة متحركة ناطقة وكأنها تتسلل متحركة من سلطان العقل المنطقى لتعيش متحركة بعيدا عن رقابة الإرادة الوعائية ، ولذا لا نعتقد ونحن نحلم أننا نفكر .. بل نعتقد أننا نعيش فعلا ، ولذلك يركبنا النعر من المخاوف في الحلم ، ويستطيعنا الفرح للأحداث السارة ، ولا نعرف أننا لم نكن نعيش حقا تلك التجارب الا بعد أن نستيقظ ، ونجد أن ما مر بنا في الحلم لا يتسق مع الواقع الذي يحيط بنا في حال اليقظة ، وعلى هذا الاساس ربما جاز لنا أن نعمل الفارق بين الحلم واليقظة بأن النشاط النفسي أثناء النوم ناقص متخلل من سلطان الإرادة ورقابة العقل المنطقى ، ولذا يأتي الحلم مفككا حافلا بالتناقضات لا يعرف معنى للمстиحيل .. وهكذا يجعلنا الحلم نصدق ما لا يمكن تصديقه ، ونأتي من الأفعال ما لا تستطيع القدام عليه ونحن في اليقظة .. فكأننا بلهاء سفهاء ، ويؤكد بعض الباحثين أن أكثر من ٩٠٪ من الاحلام خالية من المعنى المعقود أو الترابط المنطقى .. ولكن ينبغى الا نقول رأى رجل مثل « دافيدسون » استطاع

أن يدرك — بلحة عقلية — الخاصة المميزة للالهام :
— ان أحلامنا تحتوى على قفzات وطفرات لا نعرف لها تعليلا .. ولكن هذه الطفرات لا تحدث بلا سبب ، بل نجد لها تفسيرا في قانون تداعى المعانى او الخواطر ..
فإن كل فكرة في الحلم تشير الا فكار الاخرى المترتبة بها في الذاكرة مثل التشابه في الاسم او في صفة من الصفات ، ولكن عقلنا المنطقى لا يدرك هذا الاقتران فيظن أنه هذيانا ومن الملاحظ أيضا أن الانسان في الحلم قد يقدم على اعمال في منتهى السمو لا يأتيها عادة — وهو في حال اليقظة — فكانه شخص مثالى ، وقد يحدث في أحلام اخرى أن يكون نفس الشخص في منتهى الانحطاط والجون .. وفي الحلم يمكن أن يقال أن كل شيء جائز !

والآن نحب أن نتساءل عن مدى خضوع الاحلام للقيمة الخلقيe .. وأول ما يحضرنا هو قول «يسن» :
— لا وجود في الحلم لشيء اسمه الضمير .. فالقاتل قد يقدم في الحلم على السرقة أو القتل أو الاغتصاب وهو لا يبالي أو يستشعر ندما
ويقول «فولكت» :

— لا تعرف الفرائز الجنسية في الحلم أى نوع من الكبح .. فلا حياء ، ولا رادع ، ولا منطق .. بل إن الاشخاص الآخرين أيضا الذين يراهم في الحلم كثيرا ما يكونون في صورة أخلاقية مريرة ..

ولكن «شوينهاور» يرى غير ذلك الرأى فهو يؤكّد أن كل انسان يتخد لنفسه في أحلامه من السلوك ما يوافق طبعه ، فالغبييف عفيف ، والطائش طائش ، والحسود

حسود ، وهكذا .. وكل ما هناك أن النوم يخلع عننا
قناع التصنّع والرياء ، فتبعد حقيقتنا الباطنة على ما
هي عليه .. فيصريح كل منا نفسه بما لا يجسر على
التصريح به وهو في حال اليقظة



السبيل الى التأويل

ان هدف من هذا الكتاب أن أقيم الدليل على أن الاحلام ليست خالية من المعنى ، وأنه يمكن الوصول الى تأويل لها .. وان كان هذا ينافي معظم الآراء العلمية وشبه العلمية .. فما من أحد كان يرى في الاحلام شيئاً منطقياً معقولاً من معدن المعقولات البشرية المعتادة لنا ، وان كانوا مع هذا يرونها ذات مفهوم غير طبيعي .. فمنهم من يربط بين هذا المفهوم وبين عالم الغيب أو دنيا الآلهة وعلامات القدر والتذير ، أما أنا فأرى الاحلام مجرد علامات تدل على عمليات نفسية وفعالية ، وما علينا الا أن نعثر على مفتاح « شفرة » هذه العلامات حتى نصل الى المعنى الحقيقي والطبيعي للاحلام والناس ، من قديم ، يجتهدون في تفسير الاحلام على حسب اعتقادهم في دلالاتها الخارقة ، فكانت مناهجهم غير علمية .. فمنهم من يفسر الحلم كأن حوادثه رموز ، وهذا منهج لا يجدى الا في الاحلام ذات الترتيب والتناسق الى حد ما .. أما الاحلام الغامضة والمفرطة في شطحاتها ، فلا سبيل الى علاجها بالمنهج الرمزي .. ولعل افضل مثال للمنهج الرمزي ، هو تفسير سيدنا يوسف لحلم فرعون مصر كما ورد في التوراة : انه رأى سبع بقرات سمان ترعى على شاطئ النيل ، ثم خرجت عليهن في جوف النيل سبع بقرات عجاف اكلن البقرات

السمان ، وعجز المفسرون والشكهان عن تأويل تلك الرؤيا ، بيد أن يوسف الصديق تمكّن من حل رموزها ، وقال لفرعون أن حلمه يؤذن مصر بسبعين سنوات من الخير الوفير في الغلات والثمار ، ثم تعقبها سبع سنوات من القحط تأكل الأخضر واليابس ، وأن عليه أن يدخل في سنوات الوفرة ما يسد الحاجة في سنوات الجوع

ومعظم الاحلام التي ترد في الروايات ، من تاليف الادباء ، انما هي من نوع هذا الحلم الرمزي ذي المدلول المعقول .. لأن الاعتقاد الراسخ في الذهان ان للاحلام دلالة غيبية ، وانها نذيرسوء أو بشير خير ..

وليس لهذا التأويل الرمزي لمضمون الحلم او الرؤيا اي منهج علمي ثابت ، وانما المعمول فيه على الفطنة والذكاء والفراسة ..

وهناك منهجه للتفسير يؤمن به كثيرون من العامة ، وهو منهجه ثابت يكاد يكون له قاموس متواتر في كل بلد على حدة .. فالخطابات معناها نذير نحس ، والمآتم معناها خطبة او زواج ، وهكذا .. وعني بعض المؤلفين القدماء بهذا النوع من التفسير ، ووضعوا قواعد تقريبية كثيرة له ..

وأنا لا أعارض في أن للحلم معزاه ، سواء كان متماسكاً أو مفككاً ، وهذا المفزع هو ما توصلت إليه منهجه الجديد بعد أن انصرفت سنوات طويلة الى فحص حالات المرضى النفسيين والعصبيين .. فقد كان هؤلاء المرضى يقصون على أحلامهم فيما يقصون على من خواطرهم ومخاوفهم أثناء جلسات العلاج .. فكانت تلك الاحلام من بين ما استعنت به على الوصول الى أسباب اختلال توازنها النفسي

وقد لاحظت ، أثناء ذلك ، أن المريض وهو يسرد ذكرياته

بلا رؤية أو ربط يكون في حالة نفسية مختلفة عن حالته وهو يراقب أفعاله وخواطره وينسق بينها .. فهذا التنسيق معناه الانتقاء ، بحيث يحذف بعض الخواطر فلا يرويها ، ويحور بعضها الآخر ، ويروي البعض الثالث على علاقته اذا كان راضيا عنه ..

ولعل خير حالة للسرد بلا انتقاء ، هي حالة الاستعداد للنوم ، او حالة التنويم المغناطيسي اذا امكن ذلك .. لانه قبل النوم مباشرة تنشال الافكار في غير حذر ، وهذه الخواطر التي تسبق الاستفراغ في النوم هي التي تكتسى اللحم والدم ، وتتحول الى صور متحركة ناطقة اثناء النوم .. وهذا ما يسمى بالحلم

وليس جميع الناس سواء في سهولة هذا « الانشغال » للخواطر الحرة .. فمنهم من تتوفر له رقابة اقوى من المعتاد ، فتظل قائمة بوظيفة المنع والكف والمصادرة والتحوير اثناء النوم ، للحيلولة بين بعض هذه الخواطر والظهور في عالم الوعي ، ولو اثناء الرقاد ..

ووجود هذه « الرقابة » هو الذي يمنعنا من اتخاذ الحلم في جملته موضوعا جديرا بالثقة والتأويل ، بل تكتفى باخذ مفرداته وعناصره جزءا جزءا ، ونحاول ان نصل الى مغزى كل جزء على حدة ..

ولا يقل عدد الاحلام التي حللتها وفسرتها لمرضى اثناء العلاج وقبل تأليف هذا الكتاب عن الالف حلم .. ولستني لا اميل الى استخدامها في هذه المرحلة التمهيدية من البحث ، لاني اعلم ان البعض سيستخرون منها ويرفضونها من حيث الشكل قائلين أنها مجرد تحريف مرضى بأعصابهم .. والريض لا يصلح حجة على السليم ، والشاذ ليس مقياسا للطبيعي ..

وما دام الامر كذلك ، فليس أمامي فرصة للاختيار ..

انى لا املك اذن الا أحلامي الخاصة التي تتراءى لي مثل
سائر الناس في الاحوال العادية ، رغم ما في هذا «التحليل
الذاتي» من صعوبات لا انكرها ، وليس اقل همده
الصعوبات شأنها انني ساضطر للكشف عن جوانب من
أسرار حياتي الشخصية ، ولكنني لا اجد مناصا من
ذلك ، وان كنت سأحاول الا اكشف عن أمورى الخاصة
الا القسط الذي لا بد منه للمضى في التفسير وبيان مراحل
منهجى في التأويل ..

ولى في غيرى من العلماء أسوة حسنة ، وقد عبر
«دلوف» عن هذا المعنى أحسن تعبير حين قال :
— يجب على رجل العلم أن يكشف عن أوجه النقص
في نفسه بلا تردد ، اذا ما وجد في ذلك فائدة عامة توسيع
بعض المشكلات العلمية

وانا واثق أن القارئ سيترك الفضول بالنسبة
لخصائص حياتي ويوجه اهتمامه كله الى المادة العلمية
التي توضحها له تلك الاحلام

ولذا أرجو القارئ وانا على وشك أن أبدأ برواية حلم
نموذجى من أحلامي أن يغيرنى اهتمامه ، ويشغل نفسه
بأمرى ، حتى يتمكن من الفوضى معى في دقائق المفرى
الكامن للحلم ومتناصره ..
والآن .. الى ذلك المعلم ..

حالم يولية ١٨٩٥

في خلال صيف عام ١٨٩٥ ، كنت مهتما بعلاج سيدة شابة من صديقات أسرتي ، وكان العلاج بالتحليل النفسي الذي ثابرت منه حين على مزاولته ، ووصلت بالعلاج الى مرحلة تعتبر نجاحا لا يأس به في حالتها .. ذلك أنها شفيت من الأضطراب الهمستيري ، ولكن الأعراض الجسدية لذلك الأضطراب لم تزل تماما ، واقتصرت عليها خطة لم تجز قبولها ، فقررنا ارجاء العلاج الى ما بعد اجازة المصيف ، وسافرت المريضة - واسمها « ارما » - الى المصيف مع أسرتها ..

وبعد فترة من الزمن جاء لزيارتى زميل شاب تربطنى به صداقه وثيقة ، وكان قد قضى بضعة أيام في المصيف ضيفا على أسرة « ارما » ، فسألته عن حالتها .. فأجابنى جوابا امتعضت منه بعض الشيء :

ـ انها بخير .. ولكن ليس كل الخبر طبعا ..
فقد خيل الى أن وراء لهجة هذا الرد تقريرا خفيا أو اتهاما بالقصیر ..

وشهدت تلك الليلة في اعداد تقرير عن حالتها ومراحل مرضها وعلاجها ، اعتبرت أن أقدمه للدكتور « م » الذي نحترمه جميعا ونكرره ، وهو صديق أسرتي وأسرة ارما الموقر ، حتى أتفى عن نفسي كل شائبة تقصير ..
وفي نهاية هذه الليلة - قبيل الصباح - رأيت ذلك

الحلم ، وبادرت فور استيقاظي بتدوينه تدويناً مفصلاً ..

واللهم ما دوتيه :

— كنت في بهو كبير تستقبل فيه كثيرين من الضيوف، ومن بين هؤلاء الضيوف « أرما »، وأسرع فانتحى بها ركناً، كأنني أريد أن أرد على رسالة سابقة منها وأوبخها لأنها لم تقبل افتراحي، وأقول لها : أنت المسئولة وحدك عن آلامك الحالية ، فترتد قائلة : ليتك تدرى مبلغ الآلام التي أشعر بها الآن في حلقى ومعدتي وأحشائى .. إنها آلام خانقة .. فارتاع لما قالت ، واتأملها فأجدها شاحبة متورمة ، فأقول لنفسي : لابد أنني لم أفطن إلى عنصر من عناصر المرض ، عنصر عضوى .. وأذهب بها ناحية النافذة لاري حلقتها ، فتتمنع قليلاً كما تفعل النساء ذوات الأسنان الصناعية ، وأحدث نفسى أن هذه ليست حالتها ، وتفتح فمها على سعته ، فأرى بداخله قرحة بيضاء على اليمين ، وفي مكان آخر أبصر قشوراً كبيرة مائلة إلى البياض فوق تجاعيد غريبة الشكل تشبه كثيراً التجاويف الإنفية ، فأنادى الدكتور « م » في الحال ، فيفحصها بنفسه ويلويه تشخيصي ، والدكتور « م » ليس كعهدي به ، بل يبدو حائلاً اللون يظلم في مشيته وباللحية ، وهذا هو ذا الدكتور « أوتو » يظهر بجانب « أرما » ويقبل الدكتور ليوبولد أن يفحصها ، فيدق صدرها من فوق الثياب ويقول : هناك منطقة صماء في الناحية اليسرى ، ورشح من الجلد في تلك الناحية أيضاً الاختناق أنا رغم أنها لم تخلع ثيابها ، ويقول الدكتور « م » : هذه أصابة نتيجة عدوى .. ولكن لا بأس ، فرعان ما يزول التسمم وتلاشى الدوسنطاريا ، ونحن نعلم منشأ العدوى : ان صديقى أوتو أعطاها حقنة منذ مدة من

حامض البروبينيك .. ومن مركب آخر رأيت معادلته الكيماوية مرسمة أمامي بحروف كبيرة ، وهذا النوع من المحن لا يعطيه الانسان الا للضرورة القصوى ، ثم ان المحن لم يكن نظيفا كما يجب ..

و واضح ان هناك ارتباطا كبيرا بين هذا الحلم وبين ما حدث في اليوم السابق .. فالزميل الذي زارني وامتنعست من عبارته هو الدكتور اوتو ، ثم اتنى قبل النوم كنت مشغولا بكتابه تقرير عن ارما ، ولكن هذا لا يكفي لادراك مغزى الحلم .. فمرض « ارما » في الحلم يختلف تماما عن المرض الذي كنت اعالجها منه ، وموضوع المحن غير النظيف والحامض وتعليقات الدكتور « م » كلها امور فارغة تثير الابتسام ، ولا تدل على شيء اجدى لاول وهلة .. فنهاية الحلم أشد غموضا من بدايته !
هذا كله جعلنى اصمم على « تحليل » ذلك الحلم تحليلا دقيقا مهما كلفنى الامر من مشقة .. سأبدأ التحليل جزءا جزعا ..

التحليل

« البهو .. والضيوف الكثيرون الذين تقوم باستقبالهم »

اننا كنا قد اخذنا مصيفنا في منزل فوق ربوة عالية بالقرب من فيينا ، وكانت حجراته اشبه بالابهاء والقاعات التاريخية ، وفي تلك الدار رأيت هذا الحلم .. وفي الليلة التي تسبق عيد ميلاد زوجتى ببضعة أيام ، وكانت زوجتى في اليوم السابق قد اخبرتني ان ضيوفا سياقون للزيارة لتلك المناسبة ، ومن بين هؤلاء الضيوف الصديقة « ارما » .. فكان الحلم قد اخذ مسرحا له يوم عيد ميلاد زوجتى حيث تقوم باستقبال عدد كبير من الضيوف في بهو المنزل ومن بينهم « ارما » ..

« توبیخ ارما لانها رفضت اقتراحى وتحمیلها وحدها وزر آلامها الراهنة »

وهو كلام كان من الممكن أن أقوله « لارما » فعلا ، لأن اعتقادى في ذلك الحين أن مهمة الطبيب النفسي تقتصر على بيان سبب المرض للمريض ، وعلى المريض بعد ذلك أن يصلح هذا العطب في نفسه بانتباذه ، وقد عدلت فيما بعد عن هذا الرأى ، إذ ثبتت لي خطوه ، وكانت ارما ترفضه وترى أن أستمر في العلاج .. فمعنى هذا الجزء من الحلم أنى أتبرأ من تبعية ما لم يزل من أوجاعها « ارما تشکو من آلام في المخ والبطن والاحشاء تکاد تخنقها »

وكانت « ارما » تعاني فعلا من بعض آلام خفيفة في المعدة ، أهم أعراضها الغثيان ، وأما أوجاع المخ والاحشاء والاختناق ، فلم تكن من خصائص مرضها ، ولست أدرى لماذا اختار لها الحلم هذه الآلام بالذات !
« رأيتها حائلة اللون متورمة »

وهذا عكس حال ارما .. فهى دائمًا متوردة البشرة
« ينتابني النعس وأخشى أن أكون قد أغفلت عنصرًا من عناصر المرض » ..

وهذا النعس مألوف لدى الأطباء المتخصصين في الأمراض العصبية ، فهناك أمراض جسمية يرجعونها إلى العلة النفسية ، ويرى الأطباء العاديون أن سببها مرض عضوى بحت ، ولكن هذا الخاطر في الحلم قد يكون مصدراً للرغبة في تبرئة نفسى أيضا ، فما دامت آلامها عضوية ، فلست مسؤولاً عن علاجها في هذه المرحلة .. لأنى مسئول فقط عن الحالة العصبية ، وهكذا لا يكون هناك وجہ لللومى على الفشل ..

« بجوار النافذة أحاول أن أفحص حلقها فت manus ، كأن أسنانها صناعية .. فأحدث نفسي أن هذه ليست حالها»

وليس في حالة «arma» ما كان يدعو إلى فحص حلقها .. ولكن هذا الجزء من الحلم يذكرني بحالة أخرى لسيدة جميلة شابة حضرت من قبل للعلاج ودعا الامر إلى فحص فمها ، فلما طبّت إليها ذلك مانعت قليلاً ، وعلمت أن أسنانها صناعية وتريد أن تخفي عنى تلك الحقيقة ، وأما قوله أن هذه ليست حالها فمرجعه ليس إلى «arma» ، بل إلى صديقة لها أحترمها كثيراً .. زرتها وكانت واقفة في وضع مماثل لوضع «arma» في الحلم ، وكان طبيبها هو الدكتور «M» فعلاً ، ومنه علمت أنها مصابة بأعراض مرض حلقى ، وتلاحظ أن الدكتور «M» ظهر في هذا الحلم ، وأن مرض المخنق ظهر أيضاً ، وأنذكر الآن أن هذه السيدة - كما علمت من صديقتها «arma» - تعانى من اختناق عصبي ، وهى الحالة التي شكت منها «arma» في الحلم ، وهكذا أدرك أن «arma» خطت في الحلم محل صديقتها تلك ، وأنذكر أيضاً أننى في الأسابيع الأخيرة السابقة على الحلم ، كنت اتذكر هذه السيدة ويخطر لي أنها ربما طبّت مني أن أعالجها ، ثم أستبعد هذا الخاطر لما عرفت به تلك السيدة من انطواء وحدر .. ومعنى أنها ستمانع في العلاج ، وهذا ما يفسر عنصر الممانعة الذى ظهر في الحلم ، ومعنى ذلك أن «arma» مثلت في الحلم صديقتها تلك .. فما السبب في ذلك؟ قد يكون السبب أنى أضمر رغبة في أن تحل تلك السيدة محل «arma» في العلاج لما أكتنه لها من التقدير .. فأكبر الظن أنها ما كانت لترفض اقتراحى كما رفضته «arma» التي أشعر بالسخط عليها لذلك السبب ، ومن أنواع الممانعة أيضاً التى يرمز إليها عدم فتح الفم على سمعته أننى أتهم

« ارما » بأنها لا تعترف لى بخواطرها كلها كما ينبغي ..
« وأرى في الحلق قرحة بيضاء عن يمين .. وعن يسار
أرى تجاعيد أشبه بالاesthesia الانفية تنتشر فوقها قشور)

أما البقعة البيضاء فمن علامات الدفتيريا ، وهذا
يذكرني بمرض أصاب ابنتي قبل الحلم بعامين ، فسبب
لي قلقاً فظيعاً ، وأما القشور المنتشرة فوق الاesthesia
الانفية عن يسار الحلق ، فتشير إلى قلقى بسبب افراطى
يومئذ في تعاطى الكوكايين ، وكان قد بلغنى منذ أيام أن
أحدى المريضات تعاطت الكوكايين مقتدية بي ، فأصبت
بالتهاب وقرح في غشائتها الانفية ، وكانت أنا أول من
أشار باستخدام الكوكايين للعلاج قبل الحلم بعشرة
اعوام ، فأثار ذلك سخط الكثيرين وهاجمنى في الصحف
الطبية ..

« وحضر الدكتور (م) وأعاد الفحص فايد
تشخيصي » ..

وهذا يبدو طبيعيا لأن الدكتور « م » هو الحجة الذى
نحتكم إلى رأيه عند كل شك ..

« والدكتور (م) ليس كالجهد به ، فهو شاحب وبلا
لحية ، ويطلع في مشيته »

وتغير اللون من صفات الدكتور « م » .. ولكنه ملتح
ولا يطلع في مشيته ، ويذكرنى هذا بأن أخي الأكبر الذى
يعيش حاليا خارج القطر بلا لحية ، وقد سمعت قبل
الحلم ، بيضة أيام ، أنه أصيب بالتهاب في فخذه الأيسر
جعله يطلع ، ولا أعرف لماذا أدمج الحلم الدكتور « م »
وأخى ، ولعل السبب هو جامع الأكباد لـ كلـ يـهـما بـ حـكـمـ
المكانة في بيـتنا العـائلـية ..

« الدكتور أوتو يظهر بجانب « ارما » .. ويفحصها

الدكتور ليوبولد ويقرر وجود منطقة صماء في الجانب الأيسر»

والصديقان ليوبولد وأوتو قريبان .. ولكنهما دائمًا على طرف تقىض ، وما أكثر ما يختلفان في التشخيص ، وينافس كل منهما الآخر في تخصصه ، وفي أحدى الحالات أثار ليوبولد اعجابي بدقته حين كشف عن منطقة صماء فعلاً في تلك الحالة ..

«وضع على الحد في الناحية اليسرى» ..

هذا الجزء من الحلم يشير الى ما أعيانيه أنا فعلاً من آلام الروماتيزم في الكتف اليسرى، وقد نفصنى حيناً سهرت تلك الليلة لكتابية التقرير ..

((الدكتور (م)) يقرر أنها علوي .. ولكنه يستهين بالمسألة ويقرر أن الدوستاري سيفقضى عليها ويتلاشى التسمم))

وهذا كلام يبدو سخيفا .. فاعتراض الدفتر يا لا يمكن ان تكون لها علاقة بالدوسنطاريا او التسمم ، ولكن الالاحظ ان المراد بهذا الجزء دفع اللوم عنى بصورة مبالغ فيها ، لان حالات الدوسنطاريا او التسمم حالات عضوية ليس من اختصاصي علاجها .. فلا يمكن ان الام اذا كانت « ارما » تشكو منها ، ولكن لماذا يSEND الحلم هذا التشخيص السخيف لصديق هو طبيب فاضل ؟ لعل السبب ان الدكتور « م » لا يوافق على اقتراحاتي في العلاج ، فهو اذن يقف في صف « ارما » ، فجاء الحلم وانتقم لي من الاثنين .. من « ارما » بالالام التي تعانى بها في الحلم ، ومن الدكتور « م » بان ا SENT اليه تشخيصا كالهراء !

وما جاء بعد ذلك من أجزاء الحلم ، هو تعبير عن " موجة الى الزميين ، واتهام لها بالاعمال الفاحش ،

والفرض من هذا بذاته هو دفع الملام عن نفسي .. فاذا كان الخطأ خطأ الآخرين ، فانا لا يمكن أن اكون مسؤولاً عن سوء الحال !

وهكذا نرى أن الحلم - في ضوء هذا التفسير - قام بتحقيق مجموعة لا بأس بها من الرغبات التي خامرتنى في اليوم السابق .. فجاء الحلم ليبرئنى من ذنب آلام « أرما » ، وليلقى الذنب على أوتو نفسه الذي شعرت من لهجته أنه يلومنى على التقصير في علاجها .. وأشتبط في انتقامى من أوتو ، فأجعله يبدو أقل كفاءة في الحلم من منافسه ليو بولد ، وانتقم أيضاً من مريضتى الساخطة ، اذ أعطى شخصيتها ومكانها لسيدة أخرى اجدر باحترامى .. ولا أعفى من الانتقام حتى الدكتور « م » الموقر

وفي اعتقادى أن هذا النموذج يبين خطوات المنهج الذى أنسحب باتباعه في تفسير الأحلام .. فعلى هذا التوالي يتبيّن لنا أن الحلم - على تفككه وتضاربه - ليس خلوا من المعنى ، وأنه بعد تأويله تأويلاً صحيحاً تتضح له صورة متكاملة ومغزى متماسك ، وهذا المغزى يرمى دائماً إلى تحقيق رغبة تخامر الشخص الذى رأى الحلم



الفصل الثاني

تحقيق الرغبة • لماذا تتسوه الأجهزة؟



تحقيق الرغبة

اذا كانت القضية التي وصلنا اليها هي أن الفرض من الحلم عموما هو تحقيق الرغبة التي تساور الحال ، فلماذا يتخد الحلم تلك الصور المتناقضة ؟ .. وهل تستطيع أن تعرف ان كانت هذه الطريقة المتواتية هي المتبعة في سائر الاحلام ، أم هي طريقة خاصة بهذا الحلم بالذات ؟ !

ان هذا الحلم المعين قد دلنا تحليله على أن الفرض منه هو تحقيق الرغبة التي كانت تساورني ، ولكن وبما تكشف حلم آخر عن غرض ليس تحقيق رغبة ، بل تجسيم مخاوف ، او استرجاع ذكري قديمة ..

فيجب أن نبحث الآن عن صفة تحقيق الرغبة ، وهل تنطبق على جميع الاحلام أم لا ؟ !

هناك احلام كثيرة يكون واضحا منها لابد وهلة انها تتحقق رغبة للحال ، وهذا النوع من الاحلام متداول يراه كل منا ، وأذكر الان - على سبيل المثال - أن من يأكل في وجبة العشاء اطعمه على درجة عالية من الملوحة ، يشعر أثناء النوم بالعطش ، ويحلم عندئذ بأنه شرب كميات كبيرة من الماء الذى يبدو طعمه عذبا مرطبا للحلق ، ومع ذلك يستمر الظماء ويمتنع الارتواء ، فتححدث اليقظة ويجد الشخص نفسه في حاجة شديدة الى الشرب ..

و واضح أن الشرب في الحلم كان الفرض منه تحقيق رغبة شديدة للحال ، لا يمكنه تنفيذها الا اذا استيقظ ،

وهو لا يريد بقدر الامكان أن يستيقظ ، ويحاول الحلم بكل قوته أن يقوم بتحقيق الرغبة ، ولكن محاولته لا تنتج آثارها .. فلا يكون بد من اليقظة وهكذا نرى أن النفس البشرية تتخذ لها شعارا ، هو قانون « أقل مجهود » ومعنى هذا أن تحاول الطاقة النفسية الوصول إلى هدفها بأسهل الوسائل وأقرب الطرق ..

وبديهي أن جميع الرغبات ليست سواء في صعوبتها .. فالرغبة في أرواء الظما لا يكفي الحلم لتحقيقها فعلا ، أما الرغبة في الثار من « أوتو » و « ارما » والدكتور « م » فيكفي الحلم لتحقيقها تمام الكفاية .. !

والاحظ أن الاحلام التي تحقق الرغبات السكامنة بسهولة كانت تتراءى في منامي بكثرة في فترة الشباب ، لأنني في ذلك الحين كنت أسرى في البحث والدرس إلى موهن من الليل ، وكان على أن استيقظ مبكرا لازذهب إلى المستشفى ، وكان هذا بطبيعة الحال أمرا شاقا ، ولذا كنت أحلم في معظم الليالي التي قمت من نومي ، ووقفت أمام المغسل ، ورحت أرجل شعري بعد غسل وجهي .. فكان هذا الحلم يحقق رغبة اليقظة صوريا ، ويتيسح لي فترة إضافية من النوم اللذيد .. !

ويحضرني بهذه المناسبة حلم كان يتراوغى لأحد زملائي الشبان ، وكان يقيم في حجرة مفروشة قرب المستشفى ويكلف ربة البيت بايقاظه في ساعة معينة من الصباح الباكر ، ويشدد عليها في ذلك لعلمه بشغل نومه .. وذات مرة كانت رغبته في النوم شديدة .. فلما نادته السيدة :

— قم كي تذهب إلى المستشفى ..
لم يستيقظ بل رأى نفسه في الحلم راقدا في فراش

بالمستشفى ، وقد علقت على الفراش لوحة تحمل اسمه وتشخيص حالته المرضية .. فقال لنفسه وهو يحلم :
— لا ضرورة للذهاب الى المستشفى اليوم ما دمت فيه فعلا !

واستأنف النوم ، لانه أقر اقرارا صريحا بفرضه من هذا الحلم ، وهو ايجاد ذريعة لعدم الاستيقاظ في تلك الساعة ..

واليكم حلما آخر .. فقد أمر الطبيب مريضه عقب اجراء عملية جراحية في الفك أن تضع كيس الثلج على خدتها ليلا ونهارا .. ولكنها ما أن تنام حتى تلقى به بعيدا وهي نائمة ، وعللت ذلك بأنها حلمت بأنها في دار الاوبيرا ، فقالت لنفسها « ما دمت في دار الاوبيرا فانا بخير ولا حاجة بنى الى كيس الثلج » .. وألقته بعيدا !
و واضح ان الفرض من هذا الحلم هو تحقيق أكثر من رغبة للمريضة .. فهى أولا شفيت ، وثانيا ذهبت الى الاوبيرا وكانت محرومة من الخروج منذ مدة طويلة ، وثالثا وجدت مبررا للتخلص من كيس الثلج

وأسوق قصة حلم آخر :
كانت احدى السيدات تلازم ابنها المريض أسبابع متواالية ، وهو طريح الفراش بحمى معدية .. فلما زالت مرحلة الخطر رأت في منامها صالونا أدبيا ومعها فيه مشاهير الكتاب الذين تحبهم ، فتبسم طوا معها في الحديث وسامروها ورفوها عنها ، وكانت أشكالهم في الحلم تماثل صورهم الشمسية ، فيما عدا « بريفو » الذي لم تكن السيدة تعرف صورته .. فظهر لها في الحلم وله

وجه المبشر الذى جاء في اليوم السابق لتطهير حجرة
ابنها المريض ..

ومن السهل أن نعرف الرغبة التي يعبر هذا الحلم عن
تحقيقها ، وهى التخلص من هذا الحبس والسهر
والتمريض المضنى إلى أنواع أخرى من المتع الروحية
والذهنية ..

اما بالنسبة للأطفال ، فان أحلامهم لابد ان تكون ذات
صور أبسط من احلامنا .. لأن قواهم النفسية لم تصل
بعد الى درجة الت Ced و الالتواء والتتشابك التي لدى
البالغين

وأحلام الأطفال هي في الغالب تحقيق صريح وواضح
للرغبات ، ولذلك فهي ليست مشكلة علمية من ناحية
التأنويل والتفسير .. ولكن قيمها الكبرى في كونها
دليلا على أن جميع الأحلام في جميع الأعمار تستهدف
تحقيق رغبة الحال ..

ولذا أورد هنا أمثلة ونماذج من أحلام الأطفال ،
سجلتها فور سماعها من أطفالى .. لأنهم أقرب النماذج
التي تحت بدى

وابدا بحلم ابنتي وعمرها يومئذ أكثر قليلا من ثمانى
سنوات ، أخذناها إلى رحلة في الجبال في ناحية
« هالشتاد » وصحبنا معنا أحد أبناء جيراننا وعمره اثنتا
عشرة عاما ، وهو فتى لطيف وسيم يبدو أن آنستنا
الصغرى شفقت به ، وبعد يوم استيقظت من نومها
وقالت لي :

— رأيت في الحلم ان « أميل » صار من أفراد الأسرة
.. يدعوه بابا ، ويدعوه والدى ماما .. وينام مع أختى
الفتیان في حجرة واحدة .. ودخلت ماما الحجرة ووضعت

تحت وسائلنا قطعاً كبيراً من الشوكولاتة ملفوفة في ورق أزرق وأخضر

وكان جميع أجزاء هذا الحلم واضحة لى ما عدا حكاية الشوكولاتة ، فأسعفتني زوجتي بأصل القصة .. ففى اليوم السابق عندما صحبت الأم الأطفال جميعاً إلى المحطة ، رغبوا في الوقوف أمام آلة يضع فيها المرأة النقود فتقدم له قطعاً من الشوكولاتة ملفوفة في ورق فضي متعدد الألوان .. ولكن زوجتي لم تجد في الوقت متسعها فلم تتوافق ..

وأما أن ينادينا « أميل » ابن الجيران « بابا » و « ماما » فمصدر هذا أن « أميل » تكلم عنا في اليوم السابق بهذه الصفة فعلاً على سبيل التأدب .. فانتهزت ابنتي هذا التعبير لتحمله أن « أميل » صار من أفراد الأسرة فعلاً بصفة دائمة ، وهى الرغبة التى كانت تخامرها .. ولما كانت صغيرة ولا تعرف شكلًا للارتباط بمن تحبهم بحيث يجعلهم من أفراد الأسرة على الدوام سوى علاقة الأخوة .. فقد تصورته أخا لها ..

وانتقل إلى حلم آخر لابنتي الصغرى ، وكانت سنها ثلاث سنوات تقريباً .. وكنا قد أخذناها في نزهة لعبور البحيرة في قارب ، وأعجبتها النزهة حتى أنها استقررت زمنها ، ورفضت أن تفارق الزورق عندما ألقى مراسيه وملاذ الدنيا صرacha .. وظلت تصرخ حتى وصلنا إلى البيت ، وهناك نامت من شدة الإعياء ، ولما استيقظت قالت متهدلة :

— ركبت الزورق وعبرت إلى الشاطئ الآخر جملة مرات ..

و واضح أن هذا الحلم تحقيق مباشر لرغبتها ..

وأسوق حلما ثالثا لابنى البكر ، اذ كان عمره ثمانى سنوات ، فقد رأى نفسه يركب العربة الحريمية مع « أخيل » البطل اليونانى .. وكان فى اليوم السابق يقرأ بشغف كتابا عن الاساطير اليونانية

وليس لنا من سببيل الى معرفة شيء عن احلام الحيوانات ، ولكن يظهر ان هناك اعتقادا شائعا بأنها تحلم .. فالمثل الشعبي يقول :

ـ حلم الاوزة بمكيال من الذرة ..

وهذا المثل تطبيق لنظريتى في أن موضوع الاحلام دائما هو تحقيق رغبة الحال .. أيها كان مستوى هذا الحال



لماذا تتشوه الاحلام؟

ويواجهنا الان سؤال هو : ان من الاحلام ما هو مؤلم اشد الالم ومخيف مزعج .. فكيف يمكن ان ينطوى هذا اللون من الاحلام على تحقيق لرغبة الحال ؟ واذا كان الغرض منها أساسا هو تحقيق رغبة الحال ، فلماذا لم يسلك الحلم السبيل المباشر واثر الالتواه والتشويه ؟ ! وهذا بطبيعة الحال يجرنا الى سؤال محدد هو : لماذا تتشوه صور احلامنا في كثير من الاحيان ؟ ..

وارى أن أمهد للجواب عن هذا السؤال بعرض حلم آخر من احلامي الشخصية ، قد اضطر فيه للكشف عن بعض تفاصيل حياتي الخاصة .. ولكن عزائي أن هذا التصرير قد ينير أمامنا المشكلة التي بين أيدينا تمام الانارة ..

في عام ١٨٩٧ بلغنى ان اثنين من كبار اساتذة الجامعة زكيانى لشفل وظيفة استاذ استثنائى .. فوقع مني هذا الخبر المفاجىء موقع السرور ، خصوصا وأن هذين الاستاذين الجليلين لم تكن تربطني بهما صلات شخصية فلا محل للظن أنهما حابيانى ، بيد أنى نهيت نفسي عن الاعتماد كثيرا على تلك التزكية لأن ترقية الاساتذة كانت خاضعة مباشرة لوزير المعارف ، وكثيرا ما تجاهل الوزير مثل هذه التوصيات ، وكم من زميل اقدم مني ظل سنوات يجرى وراء هذا الامل دون طائل ، وليس هناك ما يدعونى للتفاؤل بصفة خاصة .. فربت نفسي على

الفشل في هذا المسعى ، ولم أجد في ذلك كبير عناء لأنني
قانع بما عندي ، ونجاحي في مهنتي يعنيني عن التماس
هذا اللقب ..

زارني ذات يوم أحد الزملاء الذين أشرت إلى طول
انتظارهم عبئاً لتلك الترقية ، ولكنه كان طموحاً ، فلم
يكت足 عن طرق أبواب كبار رجال الوزارة ملحفاً في الرجاء ،
وروى لي كيف انتهى بأحد كبار الموظفين في ذلك اليوم
جانباً ، وطلب منه أن يصارحه بسبب المماطلة في ترقيته ،
وهل يرجع ذلك إلى ديانته اليهودية وما بلقاء اليهود من
اضطهاد .. ففأفهمه الموظف الكبير بلباقة أن تيار الرأي
العام لا يسمح للوزير في الوقت الحاضر بترقية اليهود ..
وقد أزعجني هذا الحلم طيباً لأنني يهودي مثل هذا
الزميل ، وأن كنت قد وطنت النفس من قبل على
الاستسلام للفبن الذي لا مفر منه ..

وفي الليل رأيت الحلم الآتي :

الزميل « ر » شكله شكل عمي وأشعر نحوه في الحلم
بانعطاف شديد .. وأجد وجهه يصاب أمامي بتغير ،
فيزداد طوله وتتبّت له لحية صفراء .. !

ولما استيقظت من نومي يجعلت أضحك من سخافة
الحلم ، ولكن الحلم جعل يراود ذهني فقررت أن أحله ..
وأول عناصر الحلم أن « ر » له شكل عمي يوسف ..
وهذا العم تورط منذ ثلاثين سنة في عمل تجاري يحرمه
القانون ، وضبط وأنزل به العقاب ، وكان أبي لا يذكر هذا
العم الا ويهز رأسه قائلاً :

— يوسف ليس شريراً ولكنه أحمق .. !

فمعنى أن زميلى « ر » هو عمى يوسف في الحلم ،
مرادف للقول بأن « ر » أحمق ، ويويد هذا الرأى السمج
أن « ر » بدا في الحلم بالحية صفراء مثل لحية عمى في حين

أن لحية « ر » كانت سوداء ، فلا محيص اذن من القول
بأن مراد الحلم من هذه الصورة هو رمي زميلي « ر »
بالسفاهة والحمق ، وهما صفتان تقتربان بالعلم يوسف في
ذهني ..

ولا أجد مبررا لهذا الوصف سوى رغبة الحلم في أن
يعزىني أو يشجعني .. كأنه يريد أن يقول أن تخلف
« ر » عن الترقية يرجع إلى سبب غير التعصب الديني ،
انه سفاهة « ر » المزعومة .. وهذا من شأنه أن يقوى
روحى المعنوية لأنه سينفي أن تكون دياتى سببا في
اضطهادى ..

ولكن لماذا شعرت في الحلم نحو « ر » بانعطاف شديد
حينما كنتأشعر انه عمى يوسف ؟ .. هل كان هذا
الشعور موجها نحو عمى يوسف أم نحو زميلي « ر » ؟
اما عن يوسف فلم أشعر نحوه في اي يوم من أيام
حياتى بانعطاف ، وأما زميلي « ر » فكنت أقدره ، ولكنى
لم أشعر نحوه بهذه الدرجة من العطف .. فلماذا عمد
الحلم الى المبالغة في هذه الناحية ؟ .. فكأنما هذا الشعور
الزاد حيلة من حيل الحلم يراد بها ستر حقيقة معينة
عن ادراكي ، فرمى « ر » بالحماقة أمر كريه وظالم .. وكى
يدارى الحلم هذا الظلم موته بالعطف والانعطاف ..
وكانه تكثير موجه الى « ر » عما ورميته به من مذمة بغير
وجه حق ، انه أشبه بالسکفاره أو « التقية » ، وهو نوع
من السلوك نمارسه في حال اليقظة في كثير من الاحيان ،
فالكاتب السياسي حين يخوض في موضوعات يعلم أنها
تفضي الحكومة يعلم أن ذوى السلطان يملكون مصادرة
كتاباته او معاقبته شخصيا .. فيعمد الكاتب اتقاء
للرقابة وشروطها الى تمويه كتاباته واحفاء آرائه بعبارات
ملتوية تظهر المدح وتبطئ الذم والقذح ، ويخلص على

هجماته المسمومة سمات البراءة والمجاملات المسولة ، وكلما اشتدت وطأة الرقابة زادت الحاجة الى التخفي والاتقاء ، وصار القارئ مطالب بالفطنة كى يستشف ما بين السطور .. !

ونخرج من هذا بآن لدينا في الحلم قطبان .. أولهما الرغبة التي يريد النائم أن يتحققها ، والقطب الثاني هو الرقابة التي تحول دون تحقيق الرغبة اذا لم تحر رضاها .. والرغبة تتبع من اللاشعور ، فهي مثل حرس الحدود الذي يمنع غير المرغوب فيهم من الدخول ، وعلى غير المرغوب فيهم في هذه الحالة أن يتذكروا في أشكال وأزياء غريبة كى يفلتوا من الرقابة .. وهذا هو السبب في الالتواء والتتنكر أو التشويه الذى يصيب بعض صور الحلم فيسبب لنا ذلك عجزا عن الفهم أو آلاما أو خوفا ..

وكى نبرهن على أن جميع الاحلام - حتى المؤلمة - هدفها تحقيق الرغبة ، سأروى الآن أحلاما نموذجية من هذا النوع ، وبعض هذه الاحلام مما رواه مرضى :
قالت لي احداهن .. وكانت مشهورة بذلكاتها :

- أنى لاعجب من أصرارك على أن لا هدف للالحادم الا تحقيق الرغبات ، فما رأيك في أنى حلمت حلما ليس فيه شيء الا رغبات لا سبيل الى تحقيقها .. فكيف يتفق هذا مع وجة نظرك ؟
- ما هو هذا الحلم ؟

- حلمت أنى انتويت اقامته مأدبة عشاء .. ولكن ما عندي من السمك المدخن كان أقل مما يجب ، ففكرت في الخروج الى السوق لاحضر شيئا يصلاح للأكل ، تذكرت أن اليوم الاحد وأن السوق مغلقة .. فلجان الى

التليفون لاستنجد ببعض من أعرف فلم أجده في التليفون حزارة ، فاضطررت للتنازل عن رغبتي في اقامة تلك المأدبة

وأخذت أسألها عن ذكرياتها في اليوم السابق للحلم ، فعرفت منها أن زوجها - وهو من تجار اللحوم بالجملة - أخبرها يومئذ بقلة وزنه من ازيدية وزنه ، وأنه قرر أن يستيقظ في الصباح الباكر للقيام بالتمرينات الرياضية ، وأنه ينوي أن يتبع نظاما صارما في الطعام ، وأنه سوف لا يقبل أية دعوة للعشاء

ولا أجده في هذا كله ما يوضح الحلم .. فأظل الأحقها بالسئلة إلى أن أتغلب على مقاومتها ، فتعترف لي أنها في ذلك اليوم أيضا زارت صديقة تشعر نحوها بالغيرة لأنها جميلة رغم تحافظها وزوجها يعجب بها ويشتري عليها ، وقد حدثتها هذه السيدة النحيفة عن رغبتها في زيادة وزنها ، ثم سألت مريضتي : « وبهذه المناسبة متى تقيمين لنا أحدي ولائمك الطيبة ذات المأكل الدسمة ؟ »

فلما سمعت هذه المعلومات ، تكشف لي المفرز الحقيقي للحلم ، وصار في استطاعتي أن أقول لمريضتي : « الآن أستطيع أن أحدد لك تلك الرغبة التي حققتها حلمك ! فكانك افتقضت من رغبة غريمتك في أكل طعامك كي يزداد وزنها وتمتنع اعطافها فيزداد اعجاب زوجك بها .. ونبشت لديك أمنية فحسوأها إلا تقيمي مأدبة لأي إنسان أكراما لخاطرها ، وخصوصا أن زوجك ذكرك في اليوم نفسه أن ولائم العشاء هي التي تساعد على السمنة .. والآن بقى شيء يأسيدنى ..

ـ ما هو ؟

ـ أريد أن أعرف منك ما الذي يرتبط في ذهنك بالسمك المدخن ؟

ـ اوه ! انه الصنف الذى تفضله تلك السيدة !

وها نحن اولاء نتبين أن المريضة قد عمدت في الحلم الى حيلة الابدال فوضعت نفسها في محل تلك السيدة التي تفار منها لأن تلك السيدة تحتل عند زوجها مكانة تطمع هي فيها .. فهى تمنى لو حل محل صديقتها في اعجاب زوجها ، ثم جعلت صديقتها المتمثلة في شكلها لا تظفر بتحقيق أى رغبة من رغباتها ..

* * *

وسأسوق الان حلما آخر لاحدى مريضاتي أيضا ، روطه لي كى تدحض نظرية أن الحلم تحقيق رغبة ، وهذه المريضة شابة قالت لي :

ـ ان لاختى كما تعلم ولدا واحدا اسمه كارل .. أما أخوه البكر أوتو الذى كان الاثير عندي فمات منذ مدة .. وانا لا انكر أنى أحب كارل ، ولكن ذلك الحب لا يعد شعرة بالنسبة لحبى لأخيه الراحل الذى ربيته وكأنه ابني ، والليلة الماضية رأيت فى المنام أن كارل أيضا قد مات ، وأنه مسجى فى نعشه ، ومن حوله الشموع .. وكان المنظر كله مطابقا من جميع الوجوه لليلة وفاة أوتو التى تعلم كم كانت قاسية على نفسي ، فقل لي ما معنى هذا الحلم ؟ .. هل معناه أنى أتمنى أن تفقد اختى طفليها الوحيد ؟ أم معناه أنى أتمنى لو كان الميت هو كارل لا أوتو ؟

وقد ساعدنى على معرفة التفسير الصحيح ، أنى كنت على دراية تامة بتاريخ هذه الشابة النفسى والعائلى .. كنت أعلم أن هذه الشابة فقدت أبويها فى طفولتها ، فتركت يتيمة فى كنف اختها الكبرى .. وفي بيت تلك

الاخت تعرفت برجل من أصدقاء الاسرة تعلق به قلبها ، وأوشك الزواج أن يتم لو لا أن اختها الكبرى أحبطت المشروع ، وحولت الفتاة كل عواطفها نحو ابن شقيقتها أوتو ، ثم مات أوتو فجأة ، فكاد الحزن أن يهدها ، وغادرت بيت اختها لتعيش بمفردها وتحاول عبثا التخلص من ذكرى ذلك الحب الفاشل .. وان كانت عزة نفسها لا تسمح لها بالسعى إلى تجديد العلاقة ، فصار كل حظها من لقياه ، أن تذهب لمشاهدة المحاضرات العامة التي يلقيها ذلك الحبيب لأنه كان من رجال الفن والأدب ، وكان آخر حفل من هذا القبيل في اليوم السابق على الحلم ، ولكن محاضراته كانت قليلة ومتناشرة ..

وسألتها :

- هل حضر الاستاذ الى بيت اختك يوم وفاة أوتو ؟
- طبعا .. حضر بعد انقطاع طويل ، ووقف بجواري أمام تابوت أوتو الصغير الذي تحيط به الشموع ..
- أن هذا هو المضمون الاساسي لحلمك الليلة .. فلو أن كارل مات لصار من المحتم أن يحضر الاستاذ كما حضر يوم وفاة أوتو للعزاء ، ولاتيحت لك الفرصة لرؤياه عن قرب ..

و واضح أن الشابة ذات كبريات .. وأنها لا تسمح لرغبتها في الاجتماع بحبها أن تظهر .. فتحتال على فرصة لقائه بذلك الافتراض الذي يحز في القلب حزا .. ونلاحظ أن الصور الالمية التي تلحا اليها هذه الاحلام تزداد كلما اشتدت ممانعة الرقاقة في ظهور الرغبة المنشودة ، وما أشبه ذلك بأعمال التنفيذ والتبييع التي تستخدم في الماكياج والتنكر استخداما مفرطا .. كلما كان

الشىء المراد أخفاوه ممثلاً مثواه باتاً ويترتب على ضبطه
عقاب صارم ..

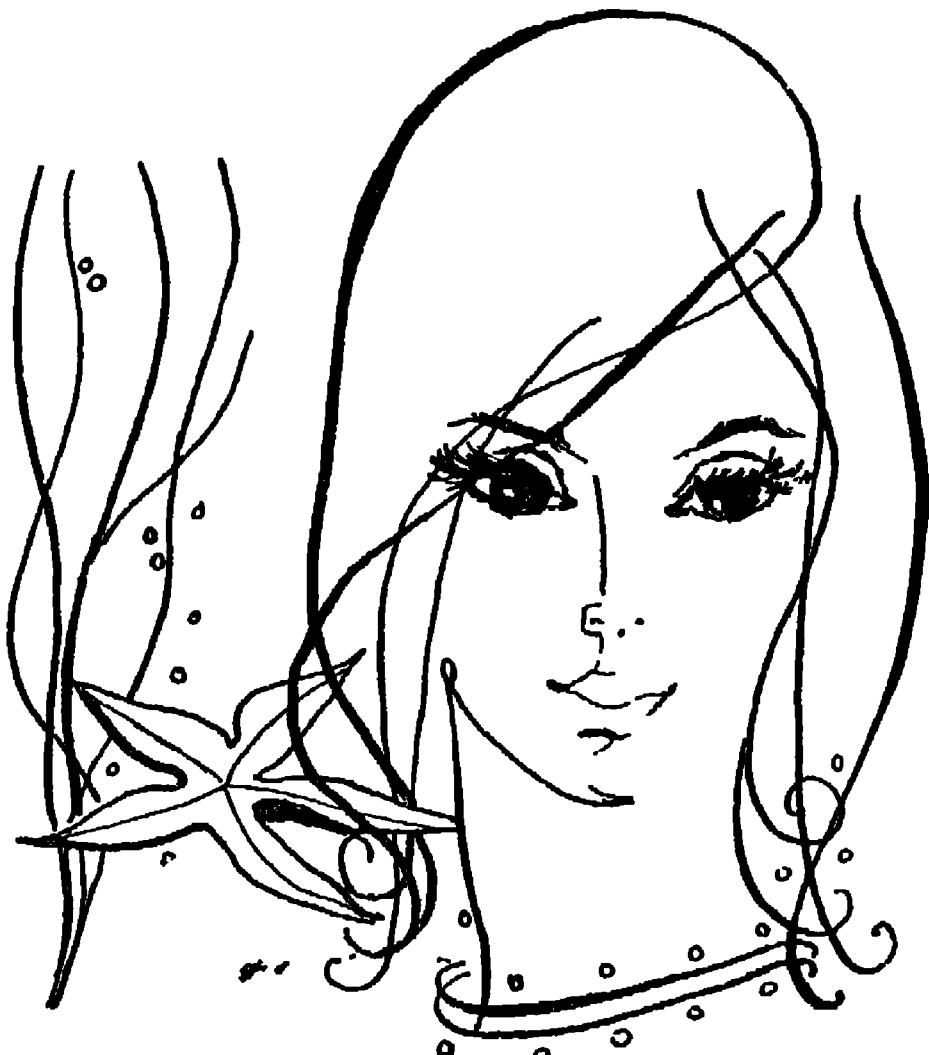
فتثنو يه الحلم وتبسيعه وشحنه بالفواجع والآلام ،
انما هو أثر من آثار الرقابة المشددة مثلما تخفي الاسلحة
المهربة في تجويفات داخل الكتب ، أو تخفي المخدرات
داخل نعش ميت !

وعلى هذا نستطيع ان نقول ان أي حلم انما هو في
الفالب تحقيق لما يكون مقنعاً وملتوياً لرغبة تكون في
معظم الاحوال مكبوة أو مكبوحة !



الفصل الثالث

عناصر الداعم • أحجار محو زجاجية



عنصر الطمث

ان اول ما اسجله ، بناء على تجربتي الشخصية ، هو
ان الحلم له صلة دائمة بأحداث اليوم السابق على الحلم ،
وقد ثبتت لدى صحة هذه النظرية من احلامي كلها ، ومن
كل الاحلام التي فسرتها لاصدقائي ومرضائى ، ولذا فان
اول ما ابدأ به عند الشروع في تفسير أي حلم هو ان
انتقم من احداث اليوم السابق .. وقد دلت التجربة على
ان هذا البحث منتج الى حد كبير ..

وسأذكر الآن بضعة من أحلامي الخاصة ثبتت الصلة
الوثيقة بين صور الحلم أو عناصره وبين أحداث النهار
السابق مباشرة ..

وابدا بالحلם التالي :

أجد نفسي أقصد بيتاً فلا استطيع أن أدخله إلا بعد
صعبيات كثيرة .. وأنثناء هذه المحاولات تقف سيدة في
انتظاري ..

والحادث الذى يرتبط بهذا الحلم هو ما حدثنى به احدى السيدات فى تلك الامسية بأنها اضطررت أن تنتظر طويلاً فى بعض المتاجر الى أن تسلمت البضائع التى اشتريتها ..

وحلمت في مرة أخرى التي أعددت بحثاً عن نوع من النبات ..

وكان الحادث المرتبط بهذا اني رأيت في اليوم السابق

في واجهة مكتبة مررت بها في الطريق بحثاً لفت نظرى
عن نبات معين ..

ورأيت حلماً ثالثاً أني ذهبت إلى أحدى المكتبات لادفع
قيمة الاشتراك السنوى لمجلة علمية وقدره عشرون
فلورينا ..

و واضح من هذه الأمثلة أن للأحداث التي وقعت في
اليوم السابق مباشرة على الحلم صلة ما بما في الحلم ،
ولكن ربما سأله سائل : هل من الضروري أن تكون
للحلم صلة بأحداث اليوم السابق ، أم يكفى أن يكون
المحدث في يوم قريب بوجه عام ؟

وأنا لا أرى فرقاً كبيراً بين الافتراضين .. ولكنني
أفضل أن أبدأ بأحداث اليوم السابق لافتراض فيها عن
المصدر المباشر للحلم ..

وقد يكون المعلم بريشاً جداً في مظهره ، ولكن هذه
البراءة قد لا تكون إلا قناعاً تذكرها للافلات من الرقابة
المفروضة على الشعور ، ولذا أحب أن أعرض هنا نماذج
لتلك الأحلام البريئة الخادعة في براءتها ..

وابداً بحلم لسيدة مثقفة من النوع الذي لا يظهر ما في
سريرته ، وتتمسك بالبراءة في مظاهرها .. قالت :
ـ رأيت في المنام أني ذهبت إلى السوق ، ولكنني
وصلت متأخرة فلم أستطع الحصول على شيء .. لا من
القصاب ولا من باائع الفاكهة ..

ويبدو هذا الحلم تاماً بالبراءة لا أول وصلة .. ولكنني لم
اطمئن إلى هذه البراءة ، ففرحت أستوضحها عما اتبعته
عادةً عندما قررت الذهاب إلى السوق .. فقالت أنها
حينما تمضي إلى السوق يصحبها الطاهى وهو يحمل

السلة ، وفي الحلم سألت القصاب عن صنف معين ، فقال لها أنه من المستحيل الحصول عليه الان ، وعرض عليها صنفا آخر وهو يزكيه .. ولكنها تركته وذهبت الى بايضة الخضر والفاكهة فاذا بها تعرض عليها نوعا لا تعرفه من الخضر اسود اللون مربوط في حزم ..

فقالت الحالة :

ـ هذا شيء لا اعرفه فلا استطيع ان آخذه ..
وتبين من المناقشة ان هذه السيدة كانت قد ذهبت فعلا الى السوق في اليوم السابق ، فوصلت متأخرة ورجعت من غير ان تشتري شيئا لأن محل القصاب كان مغلقا .. !

وكان من الممكن ان نعتبر الحلم اشارة الى ما حدث بلا تعديل ، لو لا أن هذه الاحلام البريئة تحتاج الى كثير من «الخبيث» في تفسيرها .. ففي اللغة الالمانية تعبير مبتدل يستعمل فيه محل القصاب المفتوح كناية عن اغفال الرجل أقفال فتحة بنطلونه من الامام .. ومثل هذه الكناية ترجع كفتها اذا ربطنا بينها وبين نوع الخضر الذي عرضته عليها البائعة ، فهو شيء اسود اللون طويل مربوط في حزم .. وهو في مجموعه اشارة الى شيء جنسى ، فمحل القصاب في الحلم مفتوح ، وهو يغريها بقبول شيء لا تريده فتنصرف لتجعل نفسها بائعة الخضر شيئا يظهر في الحلم اوضح دلالة على الفعل الجنسى ، ولكنها تنكر معرفته ، وتعرض عنه !

وليس يعنيانا الان بقية مدلول الحلم ، وأنما حسبنا في هذا المقام أن هذا الحلم البريء كان له مضمون ليس ببريء كل البراءة !

ورأت هذه السيدة البريئة المظهر شيئا آخر .. رأت

أنها تضع في الشمعدان شمعة كبيرة ، ولكن الشمعة تلين في يدها ولا تقف كما تريده منها فتقول لها زميلاتها أنها خائبة .. ولكن المعلمة تقول أنها غير مسؤولة .. وقد حدث في اليوم السابق أن الحاملة حاولت وضع شمعة كبيرة في الشمعدان ، ولكن لم يحدث أنها لانت في يدها .. بل كانت على ما يرام ، وقد أخذ الحالم الشمعة واستخدمها في « أغراضه » الخاصة ، ومن المعروف أن الشمعة الغليظة رمز جنسي ، لأن لينها وعدم وقوفها أثناء الاشتعال هو كناية واضحة عن العجز الجنسي للرجل .. وإذا كان العجز منسوباً إلى الرجل فالسيدة غير مسؤولة عن تلك الخيبة ..

و واضح من هذين الحلمين البرئين أن الجنس هو السبب في اشتداد الرقاقة الشعورية ضد تحقيق الرغبة الجنسية – كما هو مألف – فأدى ذلك إلى استخدام رموز وصور متلية لاخفاء معالم تلك الرغبة ..

وقد لاحظت أيضاً أن الحلم كما يستخدم أحدهات اليوم السابق قد يشير أيضاً إلى أحدهات موجلة في القدم وقعت في فترة الطفولة الأولى ، بحيث يخيل للإنسان أن ذاكرته قد أتت عليها ولم يعد في المستطاع استعادتها ..

ويحضرني بهذه المناسبة حلم طريف رواه لي بعض الموظفين على حضور محاضراتي ، وكان يؤكّد لي أن أحلامه كلها صريحة ليس فيها التواء أو تشويه ..

روى لي هذا الشخص أنه رأى في النام المدرس الذي كان يشرف على تعليمه في البيت – وهو طفل – نائماً في سرير واحد مع مربية الشابة التي لم تترك البيت إلا عندما صار الحالم في سن الحادية عشرة ، وقد حدثت

وقائع هذا الحلم في نفس إطار البيت القديم الذي أمضى به
صدر طفولته

ولما روى ذلك الحلم لشقيقه الأكبر ضحك ، وقال له
ان حلمه قد وقع فعلا ، وأكد له أنه عندما كان — أى الاخ
الاكبر — في السادسة من عمره ، كان المدرس وعشيقته
المربية يسقيانه الجعة اذا ما سهر الوالدان خارج البيت
فيغيب عن وعيه ، وأما الاخ الأصغر — صاحب الحلم —
فكان في الثالثة من عمره ولا يخشى من فطنته ، فلا يبالى
العاشقان أن يناما في فراش المربية معا .. مع أن الطفل
الصغير يحتل فراشا في نفس المجرة !

وهناك نوع من الاحلام يسمى الاحلام الراجعة .. وهو
عبارة عن حلم يعاود الشخص — منذ فترة طفولته الى
أن يكبر — في الحين بعد الحين من غير تعديل تقريرا . وليس
لدى م الحصول كبير من هذه الاحلام .. ولم يقع لى
شخصيا شيء منها ، ولكنني أذكر هنا حلماً طيباً من
اصحابي جاوز الثلاثين كان يرى بين الحين والحين منذ
طفولته أسدًا اصفر اللون يظهر في أحلامه ، ولم يزل يظهر
له الى الوقت الحاضر ، وكان هذا الأسد من الوضوح
 بحيث يستطيع وصفه وصفاً دقيقاً ، وظل يجهل مصدر
هذا الحلم الى أن عثر بين متروكلات طفولته على تمثال
لأسد اصفر ، كان يلعب به وهو طفل ثم نسي أمره ..
وأخبرته امه أن هذا الأسد كان لعبته المفضلة ، مع أنه
كان قد نسي أمره تمام النسيان ..

وليس من الضروري أن تكون مشاهد الطفولة التي
طمرها النسيان متمثلاً في أحلام كاملة ، بل يكفي أن تعود
تلك الذكريات الطفولية في لمحات واحدة من لمحات الحلم دون
أن تكون لبقية أجزاء الحلم صلة بتلك الذكريات

وسأذكر هنا حلم سيدة مسنة اندمجت فيه مجموعة من ذكريات الطفولة في صورة واحدة :

حلمت هذه السيدة العجوز أنها خرجت لشراء بعض لوازمهما ، وكانت مسرعة في سيرها فو قفت على ركبتيها في الشارع ، وتجمع الناس من حولها وكان أكثرهم من سائقى العربات .. ولكن أحداً منهم لم يساعدها على النهوض ، وتحاول هي النهوض أكثر من مرة ولكن بلا طائل ، وأخيراً تنهض واقفة وتجد نفسها داخل عربة تقودها إلى منزلها ، فيقذفها الواقعون من نافذة العربة المفتوحة بسلة خضر كبيرة ملأة بالحاجيات ..

و واضح أن المشي بسرعة والوقوع إنما هو رجوع بهذه العجوز إلى مرحلة طفولتها ، وعندما سألتها عرفت أن بين ذكريات طفولتها الأولى منظر شاب في السابعة عشرة من عمره سقط في الطريق على أثر اصابته بنوبة صرع ، فأحضره الناس إلى البيت في عربة .. ولم تكن رات هذا المنظر بعينيها ولكنه روى لها ..

ومما لا شك فيه أن السقوط في الأحلام ذو معنى جنسى ، فحين تسقط المرأة فهي ساقطة بمعنى الآثمة أو العاهرة .. والشارع الذي سقطت فيه هو شارع جرابين ، وهو مكان تكثر فيه أولئك النساء !

وإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه السيدة تزوجت في مقتبل عمرها رجلاً أقل منها في المستوى الاجتماعي والمالي ، فاضطررت أن تذهب إلى السوق بنفسها حاملة سلة الخضر كأنها من زمرة الخدم .. فمعنى وقوف الحوذية من حولها ينظرون إليها ولا يساعدونها أئم يزدرونها .. ومعنى قذفها بالسلة هو تعيرها بأنها نزلت إلى مستوى الخدم !

ولتكن لماذا الحوذية بالذات ؟ .. إن ذلك له صلة

بذكرى بعيدة من ذكريات الطفولة ، حين طردت احدى خادمات الاسرة بعد افتضاحها بعلاقتها بمحظى ، ولعل هذا هو الارتباط في الحلم بين المحظية وبين السقوط ! ..

والآن اعرض حلما حلمته أنا شخصيا .. فقد نمت وأنا جائع مجهد ، فحلمت أني دخلت المطبخ التمس شيئاً آكله .. فإذا ثلاث نساء احدهن ربة البيت ، وكانت تصنع فطيرا ، فطلبت مني أن أنتظر إلى أن تفرغ من صنعه .. فأستاء وأغادر المطبخ وأرتدي معطفا طويلاً جداً ، فأخلعه لهذا السبب وأرتدي معطفا آخر طوبل الذيل عليه وشى تركى ، ويأتى رجل لا أعرفه مستطيل الوجه مدبر اللحية ليمنعنى من ارتداء هذا المعطف ، قائلاً أنه يخصه .. فأعجب بذلك وأريه الزخارف التركية فيقتنع بذلك ، ثم تنعقد بيننا صداقه

ولما بدأت في تحليل هذا الحلم ، ساقنى ذلك إلى أول قصة قرأتها وأنا في الشاشة عشرة ، وبطلاها ينتهى إلى الجنون وهو يردد أسماء النساء الثلاث اللواتي أثرن في حياته أكبر الاثر ، وكلمة « النساء الثلاث » تذكرنى باللهات القدر الثلاثة .. واحداًهن هى الام ، والشعور بالجوع هو الذى يربطنى بمصدر الاشباع عند الطفل وهو الام ، وأما أن المرأة التى رأيتها في المطبخ كانت تفرك يديها كمن تصنع فطيرا ، فانها تذكرنى بأمى لا لأنها كانت تصنع الفطير بل لأنى سألتها وأنا في السادسة من عمرى كيف أعرف أن الله خلقنا من طين كما جاء في التوراة ، وكانت أمى شديدة التدين وسليلة علماء أتقياء من حملة التلمود ، ففركت يديها بشدة فرأيت فتائل سوداء تشبه الطين .. فكان هذا يرهانا كافيا لاقناعى على أن البشر من تراب والى تراب يعودون !

أحلام نموذجية

هناك أحلام تجري على غرار واحد عند الجميع .. فلا يكاد يختلف فيها حالم عن حالم ، ولا يكاد يختلف فيها المعنى على حسب الحالين ..

ولعل سائلاً يسأل عن علة وحدة الصور واللغة والدلالة في هذه الأحلام ، في حين تختلف الصور والدلالة في الأحلام الأخرى ..

والجواب أن هذه الأحلام التي تجري على منوال واحد تستمد وحدتها وتشابها من صدورها عن علة واحدة لدى سائر الناس ..

وهذا هو السبب في أننا نهتم اهتماماً خاصاً بهذا النوع من الأحلام ، ويرجى أن نخرج من دراسته بمزيد من الفهم عن الأحلام ..

وسأبدأ الآن بتناول أنواع من هذه الأحلام النموذجية ذات معان محدودة ..

١ - أحلام الخزي بسبب العرى

هناك أحلام يرى الحالم فيها نفسه عارياً كما ولدته أمه ، أو متجرداً من جانب هام منها ثيابه المفروض إلا يظهر أمام الناس بدونه ، ولكن ربما رأى الحالم نفسه على هذه الصورة ، ولم يشعر بالخزي على الإطلاق .. وفي هذه الحالة لا يهمنا أمر حلمه ، وإنما يهمنا فقط المطرد الذي يشعر فيه الحالم بالخزي لتجريده من كل ثيابه أو

بعضها بحيث يتمنى لو توارى عن العيون ، بأى شكل من الاشكال ، الا انه يتسم في مكانه و كان قوة اكبر منه تمنعه من الحركة .. فمثل هذا الحلم هو الذى نسميه حلما نموذجيا .. فلباب قيمته هو الاحساس بالخزي ، ثم العجز عن علاج موقفه ، و شعوره بالابتهاج لذلك العجز !

والحقيقة انه من النادر ان يكون العرى في مثل هذا الحلم عريا تماما .. بل يكفي جدا أن يكون عريا جزئيا ، انما المهم هو الشعور القوى بالخزي مع ان الجزء الناقص من الشياب قد لا يبرر اطلاقا كل هذا الخزي .. بل قد لا يكون هناك عري على الاطلاق ، وانما هو مجرد اهمال في طريقة الهدام .. فان كان الحال من العسكريين يكفي أن يكون حزامه مفتوحا ، وازراره غير لامعة ، او ان يكون بنطalonه مدنيا .. ولكن لا بد على كل حال أن يشعر الحال بشحنة قوية من الخزي نتيجة لذلك النقص ..

والغالب أن الذين يرى الحال نفسه شديد الخزي أمامهم اشخاص غرباء ، ملامحهم غير معروفة وغير واضحة .. وهم لا يبدون أى اهتمام بنوع العرى الذي كان مصدر خزي الحال ، وكتفهم لا يلحظون وجوده اطلاقا

فمن العلامات المميزة لذلك الحلم النمطي ، تقابل خزي الحال لعريه او شدوذ زيه وعدم اكترااث الناس .. فكان العرى او شدوذ الملبس أنتاج احساسا متناقضا لدى الحال ولدى من يشاهدونه في الحلم ، اذ كان المفروض أن يكون لخزي الحال صدى من دهشة الناس او تساؤلهم او فضولهم او استهجانهم ، وفي اعتقادى أن حب الانسان لنفسه وحرصه على تحقيق رغباته هو الذى جعله يحور الحلم ليحل عدم الاكترااث بالجمود محل الامتناع او الفضول .. أما شعور الحال بالخزي ، فارجع ان الذى

منع من اخفاء معالمه او ابداله عامل أقوى من ذلك ، والمهم أن التناقض بين الخزى وعدم الاكتئان يتوفّر لهذا النموذج من الاحلام

وهنا تناقض خليق لأن يدلنا على أن تلك القسوة الخفية التي تبقى على شعور الخزى إنما هي رغبة جنسية محمرة ، عليها رقابة شديدة جداً من الوعي تصر على أن تكتبها ..

ومن تجاربى في تحليل مرضى الذين عرضت لهم مثل هذه الاحلام ، استطيع القول أن محتوى الحلم ينقل ذكريات معننة في البعد من ذكريات الطفولة ..

وتعليق ذلك أنه لم يكن هناك وقت نظهر فيه عراة تماما غير صدر طفولتنا .. ولم يكن هذا العرى مصدر خزى لنا ، ومن استطاع أن يلاحظ الأطفال الصغار حين تسنح لهم فرصة التعرى من ثيابهم سيراهم يتھلون فرحاً لتلك الفرصة ، ويترافقون مزهوين باستعراض ما كان مقطى من أجزاء أجسامهم ، والغالب أن تصيح الأم موجهة أطفالها وداعية ايامهم إلى الاحتشام ، ومذكرة ايامهم أن هذا عار لا يليق ..

وتصور السعادة في العرى ، إنما هو رجوع بالمرء إلى تلك الفترة الأولى من الطفولة السعيدة .. بل أن تصور الفردوس المفقود للبشرية إنما هو تصور حالة الطفولة العارية ، بدليل أن الناس في الفردوس كانوا عرايا تماما لا يستر أجسامهم شيء ولكنهم مع ذلك لا يشعرون بالخجل ، إلى أن وقعت الواقعة المشهورة وأدركوا أنهم عرايا فأخذوا يتصفون من أوراق شجر الفردوس ليسروا عوراتهم لأنهم أحسوا بالخزى الشديد ... وأعقب ذلك حكم الطرد من الفردوس ..

ومنذ ذلك التاريخ والبشرية تمضي في التربية الجنسية

والتربيـة الاجتمـاعـية التـى تحرـم هـذا العـرـى غـير المـكـرـث ..
ولـكـن أحـلـامـنا تستـطـيع أن تـرـتـدـ بـنـا إـلـى ذـلـكـ الفـرـدوـسـ
المـفـقـودـ ، وـهـذـا ما سـمـى بالـاحـلـامـ الاستـعـراـضـيـةـ
وـالـآنـ نـرـيدـ أنـ نـتـكـلـمـ عنـ الـاحـلـامـ الاستـعـراـضـيـةـ ..
هلـ يـرـىـ الـحـالـمـ نـفـسـهـ عـلـىـ صـورـتـهـ فـيـ أـيـامـ الطـفـولـةـ وـهـوـ
عارـ؟ـ

كـلـاـ .. بلـ يـرـىـ نـفـسـهـ فـيـ عـمـرـهـ وـقـتـ الـحـلـمـ ، وـقـدـ لـاـ يـرـىـ
نـفـسـهـ عـارـيـاـ تـمـامـاـ لـاـنـ الرـقـابـةـ الشـدـيـدةـ تـمـارـسـ نـشـاطـهـ ،
وـتـمـنـعـهـ مـنـ الـوصـولـ إـلـىـ تـلـكـ الـدـرـجـةـ مـنـ الـاستـبـاحـةـ ..
وـنـلـاحـظـ أـيـضـاـ أـنـ مـنـ يـبـدـوـ أـمـاـمـهـ نـاقـصـ الـثـيـابـ خـزـيـانـاـ
أـشـخـاصـ غـرـبـاءـ لـيـسـ لـهـ بـمـعـرـفـتـهـ سـابـقـ عـهـدـ ..

وـهـنـاـ مـوـضـعـ لـلـعـجـبـ .. اـنـ اـشـخـاصـ الـذـينـ كـنـاـ نـهـمـ
بـهـمـ اـهـتـمـاماـ جـنـسـياـ فـيـ طـفـولـتـنـاـ لـاـ يـظـهـرـونـ فـيـ اـحـلـامـنـاـ
الـاسـتـعـراـضـيـةـ اـطـلاـقاـ ، الاـ فـيـ حـالـةـ الـصـابـينـ بـالـبـارـانـوـيـاـ
دـوـنـ غـيـرـهـ .. بلـ الـمـأـلـوـفـ أـنـ يـخـتـفـيـ هـؤـلـاءـ اـشـخـاصـ ،
وـنـرـىـ فـيـ مـكـانـهـمـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـغـرـبـاءـ لـاـ يـكـرـثـونـ اـطـلاـقاـ
لـلـمـنـظـرـ اـسـتـعـراـضـيـ الـذـىـ يـقـومـ بـهـ الـحـالـمـ وـيـخـجـلـ مـنـهـ ،
وـهـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـاـبـدـالـ فـيـ الـاحـلـامـ مـأـلـوـفـ .. وـيـفـضـلـهـ
يـحلـ غـرـبـاءـ مـحـلـ اـشـخـاصـ الـمـشـتـهـىـ الـذـىـ مـنـ أـرـجلـهـ قـامـ
الـحـالـمـ باـسـتـعـراـضـهـ الـعـارـىـ

وـهـذـهـ الـحـيـلـةـ التـىـ بـهـاـ يـضـعـ الـحـلـمـ مـجـمـوعـةـ مـنـ اـشـخـاصـ
الـغـرـبـاءـ مـكـانـ اـشـخـاصـ الـمـشـتـهـىـ ، مـعـنـاهـاـ فـيـ لـفـةـ الـحـلـمـ رـغـبـةـ
الـحـالـمـ فـيـ أـنـ يـجـرـىـ اـسـتـعـراـضـهـ بـلـسـمـهـ أـمـاـمـ اـنـظـارـ الـمـحـبـوبـ
خـلـسـةـ وـخـفـيـةـ عـنـ أـعـيـنـ الـغـرـبـاءـ .. فـعـدـمـ اـكـتـرـاثـ الـغـرـبـاءـ
ـ وـكـائـنـهـمـ لـاـ يـرـونـ ـ مـعـنـاهـ اـنـ اـسـتـعـراـضـ الـعـارـىـ يـسـ
مـنـ غـيـرـ اـنـ يـلـاحـظـهـ الـغـرـبـاءـ
وـمـجـمـلـ القـولـ اـنـ هـنـاكـ رـغـبـاتـ تـعـودـنـاـ كـبـتهاـ مـنـذـ عـهـدـ
الـطـفـولـةـ لـاـنـهـاـ مـمـنـوعـةـ اوـ مـحـرـمةـ .. وـلـكـنـهاـ تـخـترـقـ

اللاشعور ، وتظهر في أحلامنا مقنعة ، حتى تخدع الرقابة
الشعرية .. ومن أهم هذه الاحلام بلا شك أحلام العربي
الاستعراضية ..

٢ - عندما يموت الاحياء

وهناك نوع آخر من الاحلام النموذجية ، نرى فيها
شخصا من أحبائنا الاحياء وقد مات .. وربما كان هذا
الشخص والداؤ والدبة أو أخا أو ابنا او زوجة .

ومن الواجب أن نفرق بين نوعين من هذه الاحلام ،
هما الاحلام التي لا يهتز فيها وجдан الحال لذلك الموت
حتى انه يلوم نفسه أشد اللوم على جمود عواطفه حين
ستيقظ ويتذكر الحلم ، وهناك أيضا احلام يشعر فيها
الحال بفداحة الرزء ويسعى فيها دمعه مدرارا ، أما النوع
الاول الذي لا يهتز فيه وجدان الحال للفجيعة ، فليس
الحلم النموذجي الذي نسعى هنا وراءه .. وإنما هو
حلم يرمى الى تحقيق رغبة أخرى خفية ، ويكتفى أن أشير
هنا الى حلم تلك الشابة التي رأت في منامها ابن اختها
الوحيد مسجى في قابوته ومن حوله الشموع .. ولم
تحزن لموته ، فالحقيقة أن الرغبة التي يسعى حلمها
لتحقيقها ليست وفاة ابن الاخت بل خلق فرصة لمقابلة
حبيبها ، وعلى هذا الاساس لم يكن هناك ما يدعو للحزن
اذا نظرنا الى المحتوى الباطني للحلم !

ولكن الاحلام التي تقترب عن موتي شخص عزيز
بحزن او بكاء ، فمحتوها الحقيقي هو الرغبة في موت ذلك
الشخص !

وأنا أعلم أن الكثيرين يستنكرون هذا الكلام ..
ولذا سأجتهد في اقامة البرهان بقدر الامكان على صواب
وجهة نظرى ؟ وسيكون ذلك عن طريق تفسير الاحلام
التي بين يدينا ..

اذا حلم حالم ان اباه مات مثلا ، فليس معنى ذلك انه يريد له الموت في الوقت الحاضر بل معناه ان هناك ذكرى مدفونة من زمن بعيد .. من عهد الطفولة مثلا ، تتضمن هذه الرغبة التي كتبتها الاشبور ، فمعنى تحقق رغبة في الحلم لا يقتضي ان تكون رغبة حالية ، بل مجرد رغبة ساورت الحالم في عهد من عهود طفولته الاولى !

وانا اذكر هذا التحفظ ، وانا متيقن من ان الكثيرين لن يقنعوا به ، ويستنكرون ان يتمنى طفل موت ابيه في اي لحظة من لحظات حياته ، وسينكرون بشدة ان يكون مثل هذا الخاطر خامرهم شخصيا في اي يوم من أيام حياتهم ، حتى في الطفولة !

ولذا نجد من المناسب ان نمهد لهذه الفكرة ببحث علاقة اي طفل باخوته .. فهناك خطأ شائع ان علاقة الطفل باخوته تقوم على الحب مائة في المائة ، اليس من المأثور أن نجد بين الاخوة البالغين فتننا من العداء والتنابذ ؟ .. ان من السهل ان تتبع جذور هذا العداء لنجدتها متصلة في السنوات الاولى من الطفولة ..

بل ان من اليسير ان نعرف اخوة بالفين تربطهم اليوم صلة المحبة ، وكانوا بشهادة الجميع في طفولتهم لا يكفون عن الشناق والشجار .. فلا بد بين الاكبر والصغر في الاخوة الاطفال من عداء يقوم على السيطرة من جانب ، وعلى الشعور بالقهر والاذلال من جانب آخر .. ولا بد للاحقاد في هذه الفترة من ان تتأصل ، ولكن ليس معنى ذلك انطواء نفوس أولئك الاطفال على الشر ، لأن هذه المرحلة من الانانية وتنافع الاطماع تتلوها في الفالب مرحلة اخلاقية تقوم على الاشار .. والايشار هو عملية سيطرة من الرقابة الشعورية على النوازع الفطرية الانانية ، فتكتبهما او تحولها الى صورة اسمى ..

وحيثما يتوقف هذا التحول الخلقي - قبل تمام النمو - يظل الشخص آنانيا يرفض أن يرى شيئاً سوى مطالبه الخاصة ، فيندفع إلى تحقيقها غير مبال ، وقد نسمى هذا انحرافاً ، وهو ليس في حقيقته إلا توقف عن النمو النفسي ..

ومهما يكن من شيء ، فمن المسلم به أن الكثيرين ممن نراهم في حال كبرهم يعزوون أخواتهم كل الأعزاز ، وبرونهم ، ويستهولون فجيعة فقدهم ، إنما كانوا يضمرون لهؤلاء الأخوة أنفسهم في عهد الطفولة رغبات انتقامية سيئة جديرة أن تتحقق في أحلامهم وهم كبار !

ولا أحب أن أترك هذا الموضوع من غير أن الفت نظر القارئ إلى أمر شائع في جميع البيوت ، حين يولد طفل جديد للأسرة ، فإذا بالطفل الذي قد يكون في الثالثة أو الرابعة من عمره يجد نفسه موضع منافسة ومزاحمة من وليد طارئ ، فيبدىء من الوان الضيق به والغير منه والعدوان عليه ما هو شائع معروف ..

وأنا أعرف شخصياً طفلاً لم تتم العام الثالث من عمرها ، حاولت محاولة جدية أن تخنق بيديها الصغيرتين شقيقها حديث الولادة .. فليس أشد من غيره الأطفال الصغار ، ولا أصرح منهم في الاعراب عنها ..

وإذا فرضنا أن الوليد الجديد حقق رغبة الاخ أو الاخت فودع الحياة بسرعة ، فإن الاخ أو الاخت لا بد أن يشعر بالارتياح للتخلص من هذا المزاحم الفضولي .. ولكن هذه الراحة لا تدوم ، فإذا بالطبيعة تفعل فعلها وإذا بمولود جديد يظهر في البيت ويستثير بالرعاية والعناء والاهتمام ، ومن الطبيعي في هذه الحالة أن يتمتنى الطفل حدوث نفس المكرره المريح مرة أخرى ، ولا يمنع ذلك إلا أن يكون الشقيق الأكبر اختاً ، وأن تكون قد بلفت

من السن ما يبدأ فيه لديها نشاط الامومة .. فتعامل هذا الوليد الصغير وكأنه دميتها التي تدللها وتتبناها .. وكل هذا جدير أن يؤصل لدى الأطفال الصغار رغبات خبيثة وتنمى الموت لأخوتهم .. ثم ينمو تكوينهم الأخلاقي فيدركون شناعة هذه الرغبة ويكتبونها في اللاشعور ، وهذا ما يجعلها تظهر بعد سنوات طويلة في الأحلام ..

ومن النادر حين استعرض أحلام مرضى أن يخلو أحدهم من الحلم بوفاة أخيه أو اخته بصورة أو أخرى .. وأطرف حلم من هذه الأحلام ما روتة احدى مريضاتي، فقد رأت في منامها وهي في السنة الرابعة من عمرها حشداً من الأطفال الصغار ، جميعهم من أخوتها وأقاربها بين بنات يحبون فوق ارض حقل أخضر ، وفجأة نبتت لهم أجنحة وطاروا جميعاً أمام عينيها إلى أن اختفوا في الجو وهي تنظر إليهم ..

وهو حلم يبدو لأول وهلة ولا علاقة له بالموت .. ولكن بعد الاستقصاء والتحليل علمت أنها قبل ذلك الحلم كانت قد سمعت بوفاة طفل من أقاربها ، فسألت ذويها ماذا يحدث للأطفال الذين يموتون ، فأخبروها أنهم يتحولون إلى ملائكة ذوى أجنحة ويطيرون بعيداً إلى السماء !

وإذا عرفنا هذا ، فمن السهل أن نتصور المضمون الحقيقي لحلم صغيرتنا الذي يبدو لطيفاً بريئاً .. لقد رأت جميع أقاربها وأصدقائها الصغار يتحولون إلى ملائكة ويطيرون كلهم فيغيرون في السماء وتبقى هي وحدها ، وهذا معادل للقول بأنهم جميعاً ماتوا ، ولم يبق على قيد الحياة سواها ، وهذا الحلم إنما هو تحقيق لرغبة الحالة الخفية في أن يموت كل الأطفال في الوسط الذي تعيش

فيه وتنفرد هي بالاعزان والرعاة
والعادة الجارية الا يشهد الاطفال احتضار الموتى ،
ولذلك لا يعرفون عن الموت سوى انه غياب الشخص ،
وهذا قريب في ذهن الصغار أن يقتربن بالراحة من ازعاج
هذا الشخص اذا كان مصدر ازعاج له .. !

واذا فرضنا ان طفلا صغيرا تركت مريضته الخدمة
لسبب من الاسباب وبكى لغيابها ثم ينس من عودتها ..
وبعد عام او عامين ماتت امه الحقيقة ، فمن الطبيعي ان
يحس بنوع واحد من الاحساس في الحالتين لأن وقعهما
عنه واحد .. !

ونحن نبالغ كثيرا في نسبة الاحساس المرهف للاطفال
بالنسبة للغير ، فمن الملاحظ ان الصغار لا يهتمون كثيرا
لغياب اى فرد .. وهذا ما يشير بعض الامهات اللواتي
يفارقن صغارهن بعض الوقت لاسباب ضرورية ، مثل
زيارة ذوى القربي في بلد بعيد لمدة قد تطول الى أسابيع
كثيرة .. حتى اذا عادت الام ازعجها ان صغارها لم
يسألوا عنها أثناء غيابها مرة واحدة

ومثل هذا الموقف من الصغار حرى ان يجعل الطفل
لا يكرر كثيرة اذا رحلت الام رحلتها الابدية وهو صغير ،
وأن كان سيدرك ذلك الحادث فيما بعد .. فالموت في نظر
الصغير ليس الا مجرد غياب ، ومن الطبيعي اذا اضمر في
لا شعوره الرغبة في غياب شخص آخر ليتخلص من
مضائقاته ان تتحدد هذه الرغبة صورة الموت .. فرغبة
الموت في الاحلام ليست في حقيقتها سوى الرغبة في
التخلص من شخص .

ويبقى بعد ذلك سؤال وجيه : اذا وجدنا تبريرا من
طفولة الشخص لمنفيه وفاة اخوه ، فكيف يمكن ان نفهم
الاحلام التي تدل على رغبته في وفاة والديه او احدهما ..

وهو يدين لهم بالحياة ، ولم يعرف منهمما الا الحب والرعاية ، ومن دواعي انانيته ان يرجو لهم طول القاء لأن راحتة وتلبية رغباته ومطامعه مرهونة بوجودهما على قيد الحياة ..

ان الاجابة عن هذا السؤال ستحيلنا حتما الى ملاحظة اخرى ، هي ان الحال يرى غالبا في منامه ان الميت هو الوالد الذى يشاركه جنسه .. بمعنى ان الابن غالبا يرى في الحلم موت أبيه ، وأن البنت تحلم بموت أمها ، ولا أزعم ان هذه القاعدة مطلقة .. ولكن هذا هو الذى يحدث في اغلب الاحيان ، ومرجعه الى ان الطفل في بعض مراحل نموه ، يرى في الاب الذى من جنسه غريما له في حب امه يستفيد من اقصائه الانفراد بعواطفها ، وأن الطفلة كذلك تشعر بالفيرة من أمها في بعض مراحل نموها .. وتود لو أخلت لها الام الجو كى تنفرد بعواطف أبيها

وانى لاعلم أن الكثرين من الاتقياء سينظرون الى هذه الدعوى نظرة انكار واشمئاز .. ولكن مكارم الاخلاق شيء والواقع الذى تسجله الواقع العلمية شيء آخر !

وان من يلقى باله لاطوار نمو الاطفال وعلاقتهم يوماً باليوم يجد في تلك العلاقات أكثر من سبب للعداء .. فلو تركنا قدسيّة الوصايا العشر جانبها وما تفرضه من اكرام الوالدين ، للاحظنا أن الطفل الصغير تخامر رغبات أقوى من تلك الوصيّة .. فكلما اشتدى سلطان الاب في البيت شعر الابن بالضيق والخذل ، وكاد صبره أن ينفذ انتظارا للتخلص من تلك السيطرة المرهقة ، وهذا مصدر لعداوة خفية لا شك فيها ، قد يكتبها اللاشعور فترسب في الاعماق انتظارا لفترة من الرقيب ..

واذا نظرنا الى الفتاة وجدناها أكثر احساسا برقابة أمها وضفتها ، ولا سيما ان الام تحاول أن تؤخر بقدر

الإمكان مظاهر نضوج ابنتها حتى لا يكبر بها ذلك في عيون الناس .. وكل هذا يجعل الفتاة تنطوي على الضيق بأمها !

وإذا أضفنا إلى هذا أن الميل الجنسية ترجع أصولها إلى الطفولة الأولى ، فسندرك أن ميل الفتى يكون نحو أمها وأن ميل الفتاة نحو أبيها ..

وقد شهدت بعييني كثيرة من الحالات التي تدل على سرور البنت بغياب أمها ، وهي في سن وسط بين الطفولة والبلوغ ، ومن ذلك فتاة في العام الثامن من عمرها ، كانت تنتهز فرصة غياب أمها عن البيت لتجلس في مقعدها على المائدة ، وتعلن أنها ستقوم بدور الأم .. وتببدأ في توزيع الطعام والعناء بكل فرد من أخواتها كما تفعل أمها ..

وهناك طفلة أخرى لم تتجاوز الرابعة ، كانت تسفر عن رغباتها بصورة أوضح من هذا كلما غابت أمها عن الدار اذ تقول :
ـ في وسع ماما أن تغيب كما تشاء .. سأتزوج أنا بابا !

هذا مع أن تلك الطفلة كانت تحب أمها أشد الحب !
ونلاحظ أنه عندما يسافر الأب فترة من الزمن ، وينام الولد فيها في الفراش مع أمها ، ثم يعود الأب ويستعيد مكانه في الفراش ، فمن المحم أن يضم هذا الولد الرغبة في أن يظل أبوه غائبا باستمرار كي ينعم هو بالنوم مع أمه بلا انقطاع ، وأسهل تعبير على الغياب المستمر هو الموت ، لأن الطفل يعلم أن الموت هم الذين يغيبون غيبة أبدية لا سبيل إلى عودتهم منها .. فالموت هو الضمان الوحيد لاستمرار الغياب ..

ومن الحالات التي مارست تحليلها ، أجزم بأن الآبوين

وما يصدق على المرضى بأمراض عصبية يصدق أيضاً على الأشخاص العاديين ، وكل ما هناك أن الاضطرابات الطففية تحولت عند فريق منهم إلى مرض ، ولم تتحول عند فريق آخر لأنها لم تكن كافية في شدتها ..

وكل ما يمتاز به المرض بأمراض عصبية هو تعبيرهم السافر عن الحب الشديد لاحد الابوين وعن الكره الشديد للأخر .. أما عند الاشخاص العاديين ، فهذا الشعور لا يكون بمثل ذلك الوضوح أو تلك الصراحة

三

ولا استطيع أن أختم المهم بموت أحد الاحياء من غير أن أعلق على ظهور هذه الرغبة بصورة سافرة في بعض الاحيان ، فلا بد لهذا السفور من شروط ، والشرط الاول أن يكون في اعتقادنا الواقعى أن هذه الرغبة أبعد ما تكون عن ذهننا ، ولذا لم تأخذ الرقابة الشعورية حذراها الكافى من ظهور هذا الخاطر الشنيع ، وما اشبه هذا بقوابين «صولون» التى لم تنص على عقاب من يقتل آباء ، لأن المشرع الكبير لم يخطر بباله أن شيئاً كهذا يمكن أن يحدث ، والشرط الثانى أن يشير هذه الرغبة المكبوتة إلى نوع من القلق في اليوم السابق على حياة شخص عزيز ، فتتخد الرغبة المكبوتة من هذا القلق قناعاً تفلت به من عين الرقيب الشعوري !

٣ - الحلم بالامتحان

. ومن الاحلام النموذجية ايضاً أن يحلم المرء انه رسب في الامتحان ، ويلاحظ أن هذا الحلم يتراهى لم اجتازوا ذلك الامتحان نفسه بسلام في الماضي ..

وأذكر من تجاربي الشخصية انى لم ارسب ، وأنا طالب طب ، الا في مادة الطب الشرعى ذات مرة ، ولكنى لم أحلم بعدها اطلاقاً باننى رسّبت في تلك المادة بالذات او أعددت فيها الامتحان .. بل حلمت انى أعيد الامتحان او رسّبت في امتحان الكيمياء ، او الحيوان ، او النبات ، وكلها مواد كنت قد نجحت فيها بدرجة الامتياز .. او انى اؤدى امتحاناً في مادة التاريخ وهو من المواد التي نجحت فيها في البكالوريا بتفوق كبير

واعتقادي أن هذه الامتحانات التي يحلم بها الانسان ، ويكون قد نجح فيها بتفوق لا يبرر ذلك الفرع ، انما هي كتابات عما في الحياة الجنسية من امتحان لرجمولة الشخص ، وموافق لا يكفي النجاح السابق فيها للاطمئنان على المستقبل

وربما كان الحلم نوعاً من اللوم على اتيان الشخص في طفولته لافعال جنسية يخجل منها ..

الفصل الرابع

عمليات الحالم ارزو. • الرمزية في الأدب



عمليات الحلم

ان كل اهتمام السابقين بالاحلام كان منصرفا على تأويل الاشكال الظاهرة منه .. أما نحن فقد ادى بنا البحث الى وجود مضمون مستتر او باطن لكل حلم وراء شكله الظاهري ، فكل حلم انما يرمى بمحتواه الباطن الى تحقيق رغبة لا شعورية لدى الحالم ، وان كون هذه الرغبة لا شعورية يجعلها هدفا « للمصادرة » من الرقيب الشعوري ، وتهربا من هذه « المصادرة » يلجا الحالم الى عمليات تنكر بعيدة المدى لاخفاء معالم تلك الرغبة الممنوعة او المكبوحة ، ومن هنا يأتي التشويه والالتواء والغموض الذى يسود اشكال الاحلام ، ويحدث التفكك الواضح وعدم التناسق بين اجزائه .. فهناك من الاجزاء ما لا حاجة الى الامعان في اخفاء معالمه ، وهناك اجزاء أخرى يحتاج الامر فيها الى عمليات تنكر مسرفة .. وهكذا ينقطع الانسجام بين اشكال الحالم في اجزائه المختلفة ونخرج من هذا بآن في الحالم تيارين أحدهما سطحي والآخر خفي ، والتيار السطحي انما هو تعبير بطريقة « ملغزة » غالبا وملتوية عن التيار الخفي ، ولذلك يجب علينا أن نستخدم الفطنة لنعرف مدلولات تلك « اللغة الهيروغليفية » التي يعبر بها المضمون النفسي للحالم عن اغراضه !

ان هذه اللغة الفامضة نوع من الكتابة بالصور .. لا ينبغي ان نربط صورها بعضها ببعض ، بل يجب ان

نأخذ كل صورة على حدة ونقلها في جزئيتها الى لغة الحلم الباطنة ، مع مراعاة أن الصورة مجرد ومن سأضرب مثلاً للتوضيح .. فافرض أن أمامي أحد تلك الألغاز المchorة ، وهو عبارة عن بيت فوق سطحه سفينة ثم حرف من حروف الكتابة .. وشخص يجري بدون رأس .. وما الى ذلك من المتناقضات التي اراها خالية من المعنى المعمول جملة وتفصيلاً ، لأنه لا يمكن اعتبار سطح الدار مكاناً مناسباً للسفن ، وأشد المعاناة في التناقض أن يجري شخص وهو بغير رأس ، ثم كيف نعمل وجود حرف واحد في هذا الحلم ؟ .. ان الحروف لا توجد في المناظر بل على صفحات الاوراق !

ان الطريق الصحيح لقراءة هذا الشكل ، هو ان نحل طلاسم كل عنصر من عناصره على حدة ، وعندها سنجد من مجموع هذه الاشياء معنى معقولاً جداً ..

وأول ما يواجهنا عند بحث العلاقة بين التيار السطحي والتيار الخفي في الحلم ، أو بين التعبير والمعنى الكامن ، هو أن التعبير الظاهري مختزل ومفكك ، فلو كتبت ما أراه في الحلم لما استغرق أكثر من بعض سطور ، ولكن تعقب الذكريات المتصلة بهذه الصور ، وما فيها من التأويل ، لابد أن يستغرق بعض صفحات .. ثم لو أني تابعت التفسير بعد ذلك والتحليل ، لوجدت مزيداً من الذكريات يشير اليها الحلم من طرف خفي ، وهذا شيء يقارب في العمليات الكيماوية عملية التكثيف .. فمن سحابة من البخار نخرج بدلوا من الماء

وربما سأله سائل بعد ذلك : هل من حقنا أن نعتبر جميع الخواطر الكثيرة التي يستخرجها لنا التعطيل كانت فعلاً متمثلة في النشاط النفسي الذي نتج عنه

الحلم ؟ .. وهل لا يكون من المعقول أن تلك الافكار التي استخرجها التحليل أنها هي في جزء كبير منها اضافات أقحمها التحليل على عملية تكوين الحلم ؟

من الطبيعي في هذه الحالة أن نعتبر كل الذكريات المستترة وراء شكل الحلم ، هي في الواقع سبب وجود ذلك الشكل .. فمن غير هذه الدوافع الباطنة ما كانت النفس لتنشط لخلق الصور التي تراها لنا في الحلم .. ومهما يكن من شيء ، فمن المقطوع به أن بنية الحلم جاءت نتيجة لعملية تقدير أو تكثيف معقّدة .. فمن واجبنا الآن أن نبحث في كيفية قيام النفس بهذه العملية ولا توجد وسيلة لتعقب هذه العملية الخفية أفضل من فحص حلم حدثت فيه عمليات التقدير أو التكثيف على مدى واسع ، والحلم الذي سأتناوله الآن رأه أحد مرضى .. وكان يعالج عندي من حالة خاصة هي الفزع من الأماكن المقفلة

رأى الحالم نفسه راكبا مع مجموعة كبيرة من الأشخاص المجهولين في شارع « س » ، وفي هذا الشارع وجدوا خانا من النوع السوقي (وهذا يخالف الواقع) وبداخل هذا الخان وجد مسرحية يجري تمثيلها ، وقام بدور المترجر بعض الوقت ، وبدور الممثل في أحيانا أخرى ، وكان على الموجودين بعد الفراغ من التمثيل أن يسلدوا ثيابهم لينطلقوا إلى المدينة .. فنزل بعضهم في الطبقة الأرضية ، ونزل الآخرون في الطبقة التي تعلوها ، ثم تنازع الفريقان .. فأهل فوق ساخطون لأن أهل تحت يتلاؤن ويعطلونهم ، وكان شقيق الحالم في الطبقة العليا ، أما الحالم نفسه فكان في الطبقة السفلية ، وأغضبه من أخيه أنه ومن معه يستعجلونهم بصورة مزعجة ، وأحسن الحالم أن تقسيم المجموعة إلى فوق وتحت مسألة مفروغ منها

منذ بداية الحلم ، وينطلق الحالم بعد ذلك بمفرده صاعدا شارع « س » المرتفع متوجها الى المدينة ، فيجد مشقة كبيرة في ذلك الصعود .. حتى انه في بعض الاحيان لا يقدر على الحركة من موضعه ، وعندئذ يتقدم منه رجل مسن ، ويذكر ملك ايطاليا بسوء .. وبمجرد وصول الحالم الى قمة الشارع الصاعد يشعر أن السير صار سهلا للغاية ، وكان شعوره بصعوبة الحركة وهو صاعد جادا الى درجة انه بعد اليقظة كان يظن أن ما حدث أمر حقيقي وليس مجرد حلم

وابادر فأقول أن صعوبة الصعود مع اللهم ظاهرة مرضية عانى منها قبل سنوات ، حتى لقد اعتقاد الاطباء أنه مصاب بالسل .. ثم اتضح أنه يعاني من علة عصبية هستيرية تجعله يقلد المصابين بذلك المرض

واما كونه يحاول الصعود فلا يستطيع ، فهذا نوع من العجز يصور به الحلم الخزي .. وهو شيء رأيناه بوضوح في أحلام العرى الاستعراضية

والغريب أنني حينما كنت أصنف لرواية الحلم ، وسمعته يذكر صعوبة الصعود في البداية ثم سهلته عندما وصل الى القمة ، تذكرت على الفور مطلع رواية سافو للكاتب الفرنسي « الفونس دوديه » حين كان البطل يصعد السلالم الى مسكنه حاملا على ذراعيه صيده العابر ، مشوقة سافو .. فكانت خفيفة الحمل جدا في البداية ، ثم أخذت تثقل عليه شيئا فشيئا حتى انبرت أنفاسه قرب القمة !

وما من شك في أن المؤلف الفرنسي الشهير أراد بهذا المشهد أن يرمز الى مصر كل علاقة جسدية ، مهما بلغت درجة افتتان العاشقين أحدهما بالآخر ..

ومن معرفتي بأحوال الحالم ، كنت على علم بعلاقة له

مع احدى المشغلات بالمسرح فيما مضى ثم قطع ما بينه وبينها ، وليس من النادر أن تعمد الاحلام الى قلب الحقائق على سبيل التشويه أو الغموض ، فعلاقة سافو بذات هيئة ثم انتهت الى المشقة

ولما صارت مريضي بما خطر على بالي من تلك المضاهاة ، قال لي :

— بل اتنى رأيت في المساء السابق تمثيلية أقرب الى حلمي من رواية سافو ، وبطلة المسرحية فتاة من بنات الاسر تنكب الطريق بعد ذلك واتصلت ببعض الوجهاء الى أن بلغت ذروة الشهرة .. ولكنها دفعت الثمن فهوت سريعا

ولكن ما صلة شارع « س » بالحالم ؟ ..
ان الممثلة التي كان على صلة بها تقطن شارع « س » ، وهذا الشارع ليس فيه خانات ، فمن أين أتت علاقة الخان بذلك الشارع ؟

أن ذلك الشارع يشير الى عشيقته السابقة .. وكان قد اقام في فيينا فترة من الزمن ليكون قريبا منها ، وأضطر في تلك الفترة الى النزول في فندق حقير لقرب موضعه من الشارع الذي تسكته ، ولما غادره ليسافر قال لسائق العربة :

— أحمد الله أني سلمت من حشرات هذا الفندق ..
فأظهر الحوذى عجبه من نزول سيد مثله بهذا المكان المغير ، وعبر عن ذلك بقوله انه ليس في الواقع سوى خان لا ينزل به السادة ..

واما هجر صاحبته له ، فهو مرتبط في نفسه من غير شك بهجر آخر حدث في الطفولة ، هو انقطاع صلته بمربيته او حاضنته ، واما مجموعة الرفاق الفرياء ، فمعناها الرمزى دائما هو الاستثار او التخفي واحفاء

العلاقة السرية أو العمل المخجل عن عيون الناس وليس في هذه المجموعة من الفرباء من يعرفه الحال سوى شقيقه الاكبر الذى نزل في الطبقة العليا من الخان ، ونزل هو في الطبقة السفلى .. وهذا أيضا قلب للواقع ، لأن هذا الاخ هو الذى هبّط به ظروف الحياة عن مستوىه وقد ثروته ومكانته .. فكان قلب الحقيقة سياسة عامة في ذلك الحلم

ان قلب الاوضاع بالنسبة ل الاخ الذى آلمه سقوطه عن مكانته يتفق مع قلب الاوضاع بالنسبة لصلته بخليلاته التى آلمه هجرها .. فإذا به يرى صاعدا في شارع «س» الذى يرمي الى شخصها بشقة وخزى في البداية ، ثم بخفة وانطلاق في النهاية .. وذلك يعكس ما حدث له ولعشيق سافر في الرواية المشهورة

وما من شك في أن لهذه التعبيرات ذات المغزى الجنسي صلة بحالة المريض العصبية والجنسية ، وما من شك كذلك في أن الاخ الاكبر قد يرمي الى جانب حقيقته الواقعية الى جميع من هم اكبر منه وأقوى ، فنافسوه في حب عشيقته وانتهوا باقصائه عنها ..

واما ذلك الشخص الذى قابله وجمل يذكر ملك ايطاليا بالسوء .. فالغالب أنه رمز لمن يطلقون السنتهم في اعراض الناس مهما كانت مكانتهم عزيزة ..

* * *

وأريد الآن أن أذكر حلما آخر رأته سيدة مسنة كنت أعاجبها ، وفي أحلامها عمليات تكشف وتقطير عنيفة .. لأن حالتها كانت تتضمن اضطرابات جنسية شديدة مكبوة ، كشفت لها عنها بالتحليل قبل ذلك الحلم ، وأثار هذا الكشف استنكارها وخوفها الى درجة كبيرة ..

حلمت هذه السيدة المسنة أنها تذكرت فجأة اثنتين من الخنافس ، كانت قد جبستهما داخل صندوق .. وفتحت الصندوق فوجدتهما في حالة ضعف ، وطارت أحدهما بعد ذلك من النافذة ، فأسرعت الحاملة باغلاقها فحطمت الخنفساء الأخرى بالمصراع ، وكان اغلاقها للنافذة بناء على طلب أو أمر تلقته من مجهول وقد أثار ذلك تقرزها ..

وأول ما يتบادر إلى الذهن هو ما حدث في اليوم السابق مباشرة ، فقد كان زوج هذه السيدة مسافرا فصارت بنتها المراهقة تنام معها في فراشها ، وقد نبهتها قبل النوم أن حشرة سقطت في وعاء الماء ، ولكنها لم تكترث لانقاذها .. وتذكرت أيضا أنها قرأت بعد الظهر في الصحفة اليومية عن تعذيب بعض الصبية لقطة القوا بها في ماء ساخن إلى درجة الفليان

وليس هذان الامران على شيء من القيمة بالنسبة للحلم .. ولكنهم أثروا في نفسها موضوعا واحدا هو شعور القسوة بالنسبة للحيوانات والحشرات

ومما يرتبط بهذا الموضوع من ذكرياتها البعيدة أن ابنة السيدة ، عندما كانت طفلة ، كانت تقسو على الحشرات والحيوانات الصغيرة ولا سيما على الفراشات التي تصيدها وعلى يرقات دود القز .. بل حدث ذات مرة أنها انتزعت أجنحة بعض الخنافس

كل هذا حدث من البنت وهي صغيرة جدا ، فلما شبّت قليلا صارت نموذجا لرقة القلب وهو أمر كان يثير عجب الأم لما فيه من تناقض واضح

وفي المسنة التي كانت بنتها تجمع فيها الفراش والخنافس ، كانت القسوة على الخنافس بوجه خاص

أمرا شائعا بين الجميع لانتشار وباء خطير تنقله تلك المشرة

وفي الليلة التي رأت فيها السيدة هذا الحلم كانت ترتب أوراقها القديمة ، وكلما وجدت شيئا طريفا كانت تتلوه على الاسرة ، ومن بين هذه الرسائل خطاب غرام وصلها من معلم البيانو وهي صغيرة ، ورسالة غرام أخرى من متيم بها ينتمي إلى الطبقة الراقية

وهنا تبرز صلة عجيبة بين الخنساء التي قست عليها وبين العشق الشديد الذي انطوت عليه رسائلها القديمة .. ففي احدى مسرحيات كليست :

— ان حبك لها شبيه بهيام الخنساء !

وهذا كنایة في اللغة الالمانية عن الافتتان الشديد والشفف المتف

وأعرف من حالة تلك المريضة أنها شديدة القلق على زوجها حين يكون مسافرا ، وتنتابها من ذلك تخيلات وأوهام أثناء يقظتها في النهار ، وفي الوقت نفسه أعرف من تحابل حالتها أنها تضرم الشكوى والتذمر للضعف الذي أصيب به زوجها بعد أن علت به السن ..

ومن هذا القبيل أنها رأت أثناء النهار ، وهي تقوم ب أعمال المنزل ، شيئاً وهمياً كزوجها ، وجاء على لسانها موجة الخطاب إلى خيال زوجها قوله :

— اشنق نفسك !

ولما تعقبتها بالاسئلة عن ذكريات الشنق لديها اعترفت أنها قرأت قبل ذلك بوقت قصير أن المشتوق يحدث لديه انتصاب شديد !

ومن حيل الرغبات اللاشعورية أن تتحرى في تخفيها وتذكرها أبعد الاشكال عن فحواها .. فالرغبة المخجلة في انتصاب زوجها رحبت بهذا القناع بعيد عن الذهن،

وهو قناع الانتحار شنقا .. فكأنها تريد أن تقول
لزوجها العجوز الغائب :

- احرص على أن تصلك إلى تلك الحالة بأى ثمن !
وأما فتح النوافذ وأغلاقها ، فمردها في الحلم إلى
الخلاف بينها وبين زوجها .. فهى تحب النوم في هواء
متجدد ، وزوجها حريص على أغلاق النوافذ ويطلب
اليها ذلك دائمًا .. فكأنما طلبه تذكرة بوجوده في حياتها
وتنفيذه طلبه ، أى أن الارتباط بزوجها ، أدى إلى سحق
الخنساء أى عواطفها التي كانت تريد أن تنطلق بحرية

والى جانب عملية التكثيف توجد عمليات أخرى هي
عمليات الإبدال .. ففى الحلم الذى يشبه افتتاحية
رواية سافو، كان الشكل الظاهرى للحلم عبارة عن عمليات
صعود وهبوط وجود الناس فى طبقتين : عليا ، وسفلى ،
ولكن المضمون الخفى للحلم هو تخوف الحال من الارتباط
بأشخاص ذوى أقدار وضيعة ارتباطا جنسيا ..

وإذا نظرنا في حلم السيدة بالخنساويين ، وجدنا
الموضع الأصلى أو الخفى للحلم هو العلاقة بين الحياة
الجنسية والقسوة البدنية ، ولكن الحلم يتخفى فيحذف
المسألة الجنسية حذفا تاما ، ويستبدل بها الطرف الآخر
في العلاقة وهو القسوة البدنية .. وهذا الإبدال من
 شأنه أن يبعد الذهن عن المضمون السرى للحلم ..

وهذا الإبدال من شأنه أيضا أن يجعل مهمة التفسير
عصيرة ، فان الاشياء التى يشتند اهتمام النفس بها هي
أكثر الاشياء تعرضا للإبدال ، ومن هنا يأتي توهم البعض
أن ما يتكرر في الحلم هو المهم ، مع أن الواضح المتكرر في
الحلم هو أبعد الاشياء عن الاهتمام الخفى للنفس

ومن الوسائل التي يلجأ بها الحلم الى الربط بين الاشياء ، وسيلة بسيطة هي حدوث الشيئين في زمن واحد في الحلم ، دلالة على أن هناك علاقة منطقية بينهما ، وذلك شبيه بعمل المصور الذي يجمع على المائدة في صورة واحدة فلاسفة بينهم فروق زمنية تصل الى عدة قرون .. فهو لا يعني بذلك أن « ارسطو » كان يعيش في زمن « كانت » أو يمكن أن يجتمع معه في مكان واحد .. بل ما يعنيه أن بينهما صلة عقلية ، ولكن لا يستطيع التعبير عن الصلة العقلية بالرسم ، فيستخدم لذلك الصلة الزمانية المكانية

واما علاقة السببية ، فالحلم يتبع في بيانها المنهج الذي يمثله النموذج التالي :

رأى مريضتي أنها دخلت المطبخ فوجدت خادمتها في حالة كسول وبختهما لأنهما لم تجهزا لها ما تأكله ، وتلمع في تلك الأثناء أكوا마 من الآنية المفسولة يقطر منها الماء ، وتذهب الخادمتان لاحضار شيء من الماء فإذا بنهر طام يصل فيضانه الى مستوى النزل فتخوضان فيه ..

وتتصحو الحالمة ثم تنام لترى حلما يبدو منفصلا عن الحلم السابق ، ولكن في الحقيقة مرتبط به .. ترى أنها تنزل من قمة ربوة عالية ، وتجتاز عقبات معقدة ، وتشعر بالفرح لأنها استطاعت النزول من غير أن يتعلق ثوبها بشيء يعوقها

وأول هذين الحلمين بمثابة تمهد للحلم الآخر .. والنزل الذي رأته هو منزل أبويها ، وأما نوم الخادمتين فشيء ألفت أن تسمع أنها تفعله .. وأما أ��ام الآنية فمستعارة من محل لبيع الأدوات المنزلية يقع تحت ذلك البيت مباشرة ، وأما النهر الذي تخوضه الخادمتان ، وقد فاض حتى بدا يفرق البيت ، فكتابية عن والد الحالمة

الذى كان مشهوراً بتعلقه بالخدمات ، وظل حاله كذلك إلى أن أصيب بمرض في موسم فيضان النهر قضى على حياته والمنزل يقع على شاطئ النهر فعلاً ومغزى هذا الحلم رقم (١) عبارة عن جملة مترابطة بمثابة المقدمة من قضية لها سبب ونتيجة ، وهذه العبارة هي :

— اتنى ولدت ونشأت في ~~هذا~~ البيت الذي تضيق فيه الام بحياتها ، وتتضجر من اهمال شأنها بسبب الخدمات اللوائى يخادنها ويتصدى بين الوالد اتصالاً فاضحاً إلى أن مات .. والحالة الاقتصادية فيه والاجتماعية مخجلة حتى أن ~~با~~ أسفله متجر الأدوات المنزلية الرخيصة ..

أما الحلم الثاني فهو النتيجة لتلك المقدمة .. وفيه تحقيق لامنية الحالية ، فهي تنحدر من أصل عال ، ولكن العقبات التي تقيمها ظروفها المنزلية في وجهها لم تتمكن من أصابتها بأذى ..

وأما علاقة التنافق أو التناقض التي يقول العقل إنها مستحبة فشيء لا يعترف به الحلم .. انه لا يعرف شيئاً اسمه المستحبيل ، بل ان من المؤلوف في الاحلام أن يأتي الشيء في صورة ضده أو تقىضه بقصد التمويه على الرقيب الشعوري ، حتى ان الانسان يحار في البداية في فهم الحلم ، وهل يقصد به الشيء او ضده .. ومن العجيب أن اللغات العربية فيها كثير من الكلمات التي تدل على الشيء وضده ، فكأنها حيلة قديمة يفتتن بها العقل الانساني !

وأجد من المناسب أن أعود الى الحلم السابق الذى كانت

فيه الفتاة تهبط الربوة العالية وتجتاز الحوائل العقدة ، فقد كانت في ذلك الحلم تحمل فرعا من فروع الاشجار مزهرا بالزنابق البيضاء .. وهذا رمز لنقاء الذيل والبكارية العذرية ، ولكنها لاحظت بين هذه الازهار البيضاء ازهارا حمراء ، ولاحظت أن جميع الازهار حين انتهت من هبوط التل ذبلت وتساقطت !

ان تأويل هذا الرمز أن الفتاة فرحة لاستطاعتها ، رغم النشأة السيئة في بيت أسرتها ، أن تمضي في طريق الحياة طاهرة الذيل محافظة على بكارتها ، هذه الطهارة التي تخللتها زهور حمراء ترمز الى الحميض والبلوغ ، وأما الذبول فيدل على أن هذا السرور بالطهارة يقترن في الوقت نفسه برغبة خفية في الحرية الجنسية

فالحلم قد عبر عن النقيضين في وقت واحد ، اشارة الى أن النفس لا يمتنع أن يوجد فيها النقيضان ..

ومن الوسائل التي يعمد اليها الحلم أيضا ادماج عده شخصيات في شخصية واحدة لصفات مشتركة بين هذه الشخصيات ، حينما يريد الاشارة الى وجه الشابه في الصفات لا الى الاشخاص انفسهم .. فيظهر في الصورة أحد هؤلاء الاشخاص دون الآخرين ، وتتمثل في هذا الشخص الظاهر جميع صفات الاشخاص الذين يمثلهم وأحيانا نجد في هذا الشخص الذي يمثل نفسه بالآخرين مجموعة منتقاة من ملامح الجميع ، فله أنف هذا ، ولحية ذاك ، وهكذا ..

ومن الجائز أيضا أن يحمل الشخص الماثل في الحلم اسم أو وظيفة شخص آخر يمثله في الوقت نفسه، فندرك

أن المفروض وجوده هو الشخص الغائب
وفي بعض الاحيان ايضا يمثل الشخص الحاضر شخصا
غائبا عن طريق انتقال حركاته فقط ، او طريقته في
الكلام ، او عباراته المأثورة عنه

والقدرة على المزج بين الاشكال والاشخاص قدرة غير
محدودة ، وهى صفة من صفات الخيال التى نجدها عند
الاطفال .. وقد تتمثل فى الاساطير ، فهى من قبيل تصور
حسان له أجنحة وما الى ذلك ..



الرمزيّة في الأحلام

للأحلام رموز خاصة تستخدمها للتعبير عن الموضوعات المخلقة والمنوعة ، والجنس وما يتصل به من أهم هذه الموضوعات طبعا ، وطريقة الرمز مألوفة في حياتنا العادبة حين نتحدث بالكتابية عن الأمور الجنسية ..

وان انتظام هذه اللغة الرمزية في الأحلام للدلالة على الموضوعات الجنسية يدخل في روح الرء أن ذلك يجري على حسب « شفرة » خاصة شبيهة بلغة الاختزال والواقع أن طريقة الرمز ليست أسلوبا خاصا بالأحلام وإنما هي طريقة عامة في كل ما يتعلق باللاشعور .. فكم في الاناشيد الشعبية والأساطير والكلمات المأثورة والتوادر الدارجة على اللسان من رموز وكتابات تفوق ما يوجد في الأحلام

والمأثور أن يكون هناك داع لاستخدام الرمز المعين ، وهو وجه شبهه أو عنصر مشترك بين الرمز وما يدل عليه ..

والداعي إلى استخدام الرموز في الأحلام واضح ، إلا وهو التعبير عن المقاصد الخفية والمعانى الأصلية تعبيرا مستترا ينطلى على الرقيب الشعورى ، ومدى نجاح رمز معين في أخفاء معالم معنى معين ، فإن الحلم يستثير بهذا الرمز ويستخدمه دائما .. ولكن هذا الرمز لا يحتكر التعبير عن هذا المعنى ، فمن الممكن أن يستخدم الحلم رمزا

آخر ، فهناك نوع من المرونة في لغات الاحلام الرمزية ، وهذه المرونة ترتبط الى حد كبير بمزاج الحال وبنية ظروف الحلم ..

وفي احياناً كثيرة يدل الرمز الواحد في الحلم على اكثر من معنى ، مثلما تدل الكلمة الواحدة في اللغة احياناً على اكثر من معنى .. ويكون المعمول في فهم المعنى المقصود في الحالتين على سياق الحلم في جملته ..

وابداً ببيان بعض الرموز الشائعة :

١ - الملك والملكة = والدنا الحال او الحالة
٢ - الامير او الاميرة = الحال او الحالة
(ويمكن ان يحل محل الملك والملكة اي شخص عظيم
المقام في نظر الحال)

٣ - الاشياء المستطيلة عموماً
٤ - العصى والاغصان
٥ - الاسلحة الحادة كالخناجر
٦ - المعمول ومبرد الاظافر

٧ - العلب والصناديق والادراج
٨ - الخوانات والمدافئ
٩ - السفن وكل ما هو مجوف
١٠ - الحجرات ذات الابواب

١١ - المفتاح والقفل = جهازاً الرجل والمرأة
١٢ - المرور في سلسلة من الفرف المتداخلة
= الزواج او احياناً منزلاً للدعارة
١٣ - السلام والربى = الفعل الجنسي

- ١٤ - الجدران المنساء التي ينزلق عليها الحالم وهو مرتاع ، أو يتسلقها ولا يجد بها نتوءات = العلاقة الطفلية بالوالدين أو الحاضنة
- ١٥ - المائدة أو الخوان أو الفراش = الزوج
- ١٦ - موضوعات الفداء = موضوعات الجنس أحياناً
- ١٧ - قبعة المرأة = آلة الرجل
- ١٨ - رباط العنق = آلة الرجل
- ١٩ - المعطف = آلة الرجل
- ٢٠ - المحاريث والبنادق والمسدسات = آلة الرجل
- ٢١ - جبال تعلوها الاشجار = اعضاء جنسية
- ٢٢ - الاطفال الصغار = الاعضاء الجنسية أحياناً
- ٢٣ - ملاعبة الاطفال = العبث بالاعضاء الجنسية
- ٢٤ - قص الشعر وسقوط الاسنان = الخصاء
- ٢٥ - الثعبان = آلة الرجل
- ٢٦ - المنطاد والطائرة = آلة الرجل
- ٢٧ - الطريق اليمنى = سوء السبيل
- ٢٨ - الطريق اليسرى = طريق الضلاله والجريمة
- ٢٩ - الطريق اليسرى = علاقة شاذة بنفس جنس الحالم
- ٣٠ - الطريق اليمنى = علاقة جنسية طبيعية
- ٣١ - عدم اللحاق بعربة أو قطار = فارق في السن لا يمكن اغفاله
- ٣٢ - حقائب محمولة = خطايا تخن الضمير أو عضو المسافر الجنسي

ومعظم الرموز السابقة مستقاة من دراسة نشرها «شتيفيل» ومعظمها نوافق عليه .. ولكننا ننبه الى أن الاحلام قد تستعمل رموزاً عكسية للدلالة على اعضاء

التناسل ، وتستخدم أحياناً الرموز الذكرية لاجهزة الاناث أو العكس .. وغالباً ما يدل هذا على رغبة الحال او الحالة في أن يكون من الجنس الآخر ، وليس من النادر أن تمنى المرأة لو أنها كانت وجلا .. !

والاحظ أيضاً أن الحلم قد يصور الاعضاء الجنسية مستعيناً بأعضاء أخرى من الجسم ، فيرمي لالة الذكر بيد أو رجل ، ويرمي لالة المرأة بفتحة الفم أو الاذن أو العين ، وقد نشرت في محاضراتي التمهيدية عن التحليل النفسي مزيداً من التفصيات الخاصة برمزيّة لغة الاحلام ..

وأريد الآن أن أضرب بضعة أمثلة عن كيفية استعمال هذه الرموز في الاحلام ، بحيث يكون الجهل بها حائلاً دون تأويل الملم ، مما يلزمنا بالاعتراف بأن لغة الحلم رمزية ..

١ - رمز القبعة

وهو حلم .. أو بمعنى أدق جزء من حلم سيدة شابة يرتديها ذغر من الاماكن غير المغلقة او المحدودة نتيجة خوف من الغواية والفتنة :

– حلمت أني امشي في شوارع ، والوقت صيف ، مرتدية قبعة من القش غريبة الشكل ، فهي مائلة الى أعلى من الوسط وبجانبها متهدلان الى أسفل بحيث كان أحد الجاتبين أكثر تهلاً من الآخر ، وكنت منشرحة الصدر ، وأنا أمشي هكذا معتدة بنفسي ، وصادفت في طريقى حفنة من الضياب الشبان ، فقلت لنفسي وكأنى أخاطبهم :

– لا يستطيع أحدكم أن يمسنى بسوء ..

وحاولت أن أعرف من الحالة رأيها في القبعة ، وبماذا تقتربن في ذهنها فلم أجد عندها أدنى فكرة عنها قللت لها :

– أعلمى اذن أن القبعة لا ترمز في الاحلام الى شيء

على الاطلاق سوى عضو الرجل الجنسي .. وآمنت قد حلمت بالقبعة وجزءها الاوسط متوجه الى أعلى وجانبها متهالان .. !

ولم أتعجل التعرض لكون القبعة التي حلمت بها كان أحد جانبيها أكثر تدلية وتهاللا من الجانب الآخر .. وتحركت ذلك الى فرصة مناسبة واستطردت :

ـ إنك في الحلم تتباھين بأن لك زوجاً ذا أداء جنسية موضع الاعجاب ، تتحدين بها مجموعة الضباط المغازلين المغويين للنساء والفتیات ، ومؤكدة لهم أنه لا حاجة بك الى ما لديهم ، واته لا سبيل لهم اليك .. لأن زوجك الآن قادر على حمايتك من كل هؤلاء حين تخرجين معه فلا يجسر انسان على التعرض لك بسوء والعجيب أن مريضتي صمتت بعد هذا التفسير طويلاً، ثم سالتني فجأة :

ـ هل جميع الرجال هكذا ، أم أن زوجي وحده هو الذي ينفرد بأن أحدي خصيتهما أكبر وأكثر تدلية منخصية الأخرى ؟ !
فكان هذا السؤال أقوى اعتراف بمطابقة رمز القبعة في الحلم ..

٢ - السقوط تحت العربية

وساروا الآن حلما آخر لهذه المريضة نفسها ، يرمز فيه الطفل الصغير الى العضو الجنسي ، ويرمز فيه السقوط تحت العربية للعملية الجنسية :

ـ أخرجت أمي ابنتي الصغيرة من البيت ، فاضطررت أن أرحل وحدي بعد ذلك ، وركبت مع أمي قطاراً ورأيت من نافذته ابنتي الصغيرة تمشى على قضبان القطار بحيث يتختتم وقوعها تحت العجلات .. وأسمع القطار

وهو يسحق عظامها ، فأشعر بعدم ارتياح ، ولكنه لا يصل الى حد الفزع او الفجيعة .. وأجيال نظرى من نافذة عربة القطار لا يعرف هل من الممكن رؤية الاجزاء من الخلف ، ثم اليوم أمى لانها اخرجت ابنتى الصغيرة من البيت وحدها ..

وابدا بالقول أن هذا الحلم ضمن سلسلة من الاحلام الطويلة ، لا يمكن فهمه تماما من دونها .. ولكنى استطيع أن أقول عن رحلة القطار أنها مستمدۃ من رحلتها حين اخرجت من مصحة للأمراض العصبية ، كانت قد افتنت بالطبيب المعالج فيها ، وقد ذهبت أمها بنفسها الى المصحة لتأتى بها في القطار ، وجاء الطبيب المعالج الذى تعلقت به المريضة الى المحطة ليودعها ، وقدم لها باقة من الورد فتضايقت لأن أمها كانت موجودة في لحظة الوداع العزيزة وهذا هو السبب في أن أمها تبدو في الحلم في صورة العدو الذى يعرقل محاولاتها الفرامية ويؤدى الى تضييع فرص لذتها ..

واذا رجعنا الى تاريخ مريضتى ، وجدنا أن أمها المتزمنة كانت دائما تقوم في طفولة الفتاة بهذا الدور الثقيل ..

واما النظر من النافذة لترى هل يمكن رؤية الاجزاء من الخلف ، فان الذهن قد ينصرف الى أن المراد كما في ظاهر الحلم هو رؤية حطم فتاتها الصغيرة التي دهمها القطار ، ولكن الفتاة في الحلم ليست سوى رمز ، وكى نفهم الحقيقة يجب أن نعود الى طفولة المريضة الاولى .. حين رأت وهى صغيرة جدا اباهَا عاريا تماما في الحمام ذات مرة ، وكان ظهره الى ناحيتها ..

وتحديثى مريضتى عن أنها كانت تعتقد دائمًا أن أعضاء

الرجل الجنسية بحكم تدليها يمكن أن تشاهد من الخلف ..
أما المرأة فلا ..

وهذا الاعتقاد نفسه يحتم أن الفتاة الصغيرة في الحلم
ليست طفلاً وإنما هي أعضاء التناسل .. ومعنى كلامها
عنها بقولها «صغرتي» أنها تقصد أعضاءها هي الجنسية،
فكأنها في الحلم تريد أن تلوم أمها برمز اخراج الفتاة من
البيت وحرمانها منها لأن الأم أرادت منها أن تعيش
وكانها بغير أعضاء جنسية ، ومعنى أنها تمضي بعد ذلك
وحدها مضطرة أنها تعيش بلا رجل يعاشرها ويكون لها
قريناً وصاحباً ..

وأما السقوط تحت العربية ، أو القطار ، فرمز إلى
العملية الجنسية وما تقترب به من تحطيم شعرت منه لأول
وهلة بعدم ارتياح لم يبلغ حد الفرع أو الفجيعة ، وهذا
رمز أيضاً إلى رغبتها اللاشعورية في ممارسة الحياة
الجنسية ، رغم ما تقترب به لأول وهلة من آلام أو عدم
ارتياح .. وهذا هو جانب تحقيق الرغبة في الحلم ..

٣ - رمز الإبنية والسلام الكهوف

ومن رموز أعضاء التناسل الإبنية والدرجات الصاعدة
أو الهاابطة والكهوف المظلمة .. وسأروي الآن حلم
شاب من مرضى كان علاجه عسيراً ، فهو ذكي يساير
العلاج .. ويسهم في تفسير أحلامه ببراعة ؛ ثم ينطوي
على نفسه بعد ذلك فلا يستطيع المعالج أن يسبّر غوره :
—رأيتني أتنزه مع والدى في موضع أعتقد أنه حدائق
«براتر» لأنى رأيت فيه الروتوندا .. وأمامه مبنى صغير
مشدود إليه منطاد ، ولكن المنطاد كان في الحلم غير قائم
 تماماً ، ويسألنى أبي عن سبب كل هذه الأشياء فأعجب
لسؤاله ولكنى أوضح له الأمور ، ونمضى بعد ذلك إلى

رحبة فوق أرضها مسطح من الصفيح يريد أبي أن يقتطع
جزءاً منه ، ولذلك يتلفت حوله كالمتصصن قبل أن يققدم
على ما يريد ، فاقول له :

ـ قل للحارس رغبتك .. وبعد ذلك لك أن تأخذ
ما شئت وانت مطمئن ، ومن هذه الرحبة سلم ينتهي
إلى كف في باطن الأرض ، وجدران هذا الكف أشبه
بالأثاث الجلدية المضديدة ، وفي نهاية الكف سرداد
طويل ينتهي إلى كف آخر ..
والمربيض نفسه لم يعجز عن تفسير هذا الحلم كما
يجب ..

ـ أني أعرف بجيداً أن بناء الروتوندا هو أعضائي
الجنسية ، وأن المنطاد المريوط إليها هو القضيب الذي
أشكو مما به من ارتخاء ..

ونزيد نحن الأمر وضوحاً ، فنقول أن الروتوندا هي
بمعنى أدق العجيبة ، ويدخلها الطفل عادة ضمن الأعضاء
الجنسية .. والبناء الصغير الذي أمامه هو كيس
الخصيتين ، والمنطاد هو القضيب فعلاً ، وأما سؤال
أبيه عن معنى هذا كله وجدواه ، فهو وضع مقلوب في
الحلم على طريقة الإبدال التي تحدثنا عنها آنفاً ..
والصحيح أنه هو الذي يسأل أباًه ، ولما سأله في ذلك ،
عرفت أنه لم يوجه إلى والده سؤالاً كهذا في أي يوم ..
فيكون ورود هذا الجزء من الحلم تعبيراً عن رغبة أضمدها
الحالم في الاستفسار من أبيه

وأما الرحبة التي على أرضها لوح من الصفيح ،
فليست رمزاً لأنها جزء مستمد فعلاً من مهنة والد
الحالم ، وكان قد عمل فيها منذ مدة ، ولما كان فتى مثالياً
من ناحية الأمانة في العمل والتجارة فقد أثاره ما اكتشفه
في مؤسسة أبيه من تصرفات غير مشروعة ..

فلو وضعنا هذه النقطة في موضعها المتم للجملة السابقة لكان :
ـ أخشى أنني إذا سألت أبي أن يوضح لي هذه الأمور الجنسية بصرامة أن يخدعني كما يخدع الناس في مزاولة

مهنته ..

وأما رغبة الاب فيأخذ جزء من لوح الصفيح خلسة ، فهو أيضا نوع من الابدال حل فيه الاب محل الابن ، وهو رمز للعادة السرية . وتعليق الحال بأن من الممكن عدم التخلى ، معادل للرغبة في صلات جنسية سافرة ويزيد الأمر وضوحاً أن رمز الكهوف والدرج المفضي إليها يعني الزواج ، فصعود سلام أو هبوطها معادل في الحلم للاتصال الجنسي ، وأما الكهف المنضدد الجدران الوثير اللين ، فهو الجهاز الجنسي عند المرأة وقد تولى الحال نفسه تفسير الدهليز المفضي إلى كهف آخر بأنه في وقت مضى كان قد اتصل النساء ، ثم امتنع عن ذلك نتيجة ضعفه الجنسي المشار إليه في الحلم ، وهو يرجو أن يبرأ من هذه العملية فيعاود هذا النوع من الاتصال

٤ - ومن المناظر الطبيعية

وهذا حلم لأمرأة من العامة زوجها شرطي .. والمنظر الطبيعي في الحلم ، خصوصاً الريبي التي تكسوها الأعشاب والنباتات ، معادل للجهاز الجنسي عند المرأة :

ـ هجم بعضهم على المسكن ، ففزعـت وأخذـت أصرـنـ مستـفـيشـةـ بالـشـرـطةـ .. ولـكـنـ الشـرـطـىـ يـدـخـلـ بهـدوـ كـنـيـسـةـ صـغـيرـةـ تـفـضـيـ إـلـيـهاـ بـضـعـ درـجـاتـ ، وـكـانـ مـعـهـ أـثـنـانـ منـ المـشـرـدـينـ ، وـخـلـفـ الـكـنـيـسـةـ رـبـوةـ تـعلـوـهـ غـائـبـةـ لـفـاءـ ، وـكـانـ الشـرـطـىـ يـرـتـدـيـ خـوذـةـ وـلـهـ لـحـيـةـ دـاـكـنـةـ ، وـأـمـاـ

المتردان فحول خاصرة كل منهما كيس ، وكان هناك طريق يؤدي من الكنيسة الى قمة الربوة ، وهذا الطريق محفوف بالنباتات التي أخذت في الكثافة الى أن صارت فوق قمة الربوة غابة لفاء

وأسأثير هنا الى الرموز الجنسية ، فالسلم يعني العمل الجنسي ، والرجال رمز للجهاز الجنسي عند الرجل ، والشرطى يمثل القضيب وله خوذة مدبية ، ولحيته السوداء هي الشعر المحيط به ، والمتردان اللذان لا يؤديان عملاً في الظاهر هما الخصيتان ، والفرارة حول خصريهما هي كيس الخصية ، وأما الربوة التي فوقها الغابة فهي الجهاز الجنسي عند المرأة

٥ - رمز الرأس المقطوع

وهذا الرمز يعني النساء .. وهذا حلم رأه طفل في منتصف العام الرابع من عمره كان أبوه غائباً عن الدار منذ مدة فنعم بصحبة أمه واستئثاره بعنادتها ، وكان لا يستريح فيما يبذلو لعودته أبيه ، فحلم أن آباء يحمل رأسه في طبق واستيقظ متغوراً ..

فهذا الحلم تحقيق رغبة من جانب الطفل ضد أبيه ..

٦ - رمز السلام

والحلم الذي استطيع أن أورده هي السلام وما ترمز إليه من الاتصال الجنسي هو حلم أحد المرضى .. وكان ينفر من الجنس مشمتزاً ، بسبب مرض عصبي كان يشتبه كل تخيلاته الجنسية على والدته ، وكثيراً ما كان يحلم بأنه يصله السلام معها ، وكانت قد نصحته بنوع معين من العلاج ، فحلم بأن معلم الموسيقى يوبخه على عدم اتقان السلام الموسيقى ..

و واضح أن السلم الموسيقى إنما هو نوع من السلالم التي ترمز إلى الاتصال الجنسي ، و توبيخ معلم الموسيقى رمز لتوبيخي أيه على امتناعه التام عن الفعل الجنسي بصورة مرضية ..

٧ - الاصحاء والرموز

ويعتقد بعض الكتاب ، و منهم هافلوك اليس ، أن هذا النوع من الرموز لا يظهر إلا في أحلام المرضى بأمراض عصبية .. أما الأسواء فلا يعتد في أحلامهم بتلك الرموز ، لأن هذه الموضوعات ليست عندهم محل كبت أو منع

أما نحن فنعتقد أن الرمزية هي لغة الحلم عند المرضى و عند الاصحاء ، وكل ما هناك أن استخدام المرضى للرموز في أحلامهم أكثر وأشد ، أما الرموز في أحلام الاصحاء فأوضح وأبسط ولذا يكون تفسيرها أسهل ..

و للتدليل على ما أقول أروي حلم فتاة سليمة من الامراض العصبية ، ولكنها شديدة الحياة .. كنت أعلم أنها مخطوبة ، ولكن بعض المواقف قد تؤدي إلى تأجيل زفافها .. واليكم الحلم :

- رأيتني أزین مركز احدى المائدة بالورود بمناسبة عيد ميلاد .. وشعرت أن الحفلة في بيتي ، و كنت سعيدة و أنا أقوم بهذا العمل ..

واستطاعت الفتاة من تلقاء نفسها أن تدرك أن الحلم في جملته رمز لرغبتها في الزواج .. فالمائدة الحافلة التي في وسطها الإزهار ترمز إلى أعضائها الجنسية ، و سألتها عن نوع الورود التي كانت تزين بها المائدة فقالت بسرعة :

- أغلب الانواع التي لا يحصل عليها الانسان الا بشمن

باهظ ، فهناك زنابق وبنفسج وزهور حمراء .. !
 وخطر لى على الفور أن الزنابق تعنى بالمعنى الدارج
 وموز الطهارة والعديرية ، وقولها عن الازهار أنها غالبة
 إنما هو تحقيق لرغبة في أن يقدر زوجها قيمة طهارتها
 العذيرية وأن يؤدي لها ما تستحقه من التقدير والتكرير
 وأما البنفسج والقرنفل .. فيقتربان في الذهن بمعان
 جسدية تختلف عن طهارة الزنبق .. فكأنها تجمع في
 لا شعورها بين الزهو بطهارتها والرغبة في الاتصال
 الجسدي ..

٨ - حلم « بسمارك »

وفي مذكرات « بسمارك » نطالع حلما له ، وآه أيام
 الازمة النمساوية في عام ١٨٦٣ وسبقه على النحو
 التالي :

— رأيتني أركب جوادى في درب ضيق من دروب
 إجبار الآلب ، وسفح الجبل عن يسارى ، والهوة السحيقة
 عن يمينى .. والطريق تزداد وعورة وضيقا ، ثم ما لبث
 الحصان أن امتنع عن السير ، وكان المكان من الضيق
 بحيث لم أستطع المضي في السير ، ولم أستطع الرجوع
 أدراجى .. ولم أستطع أيضا الترجل عن الجواد ، وكان
 سوطى في يدى البىرى ، فهو يت به على الجبل وصخوره
 الملسأ .. وإنما ابتهل إلى الله .. فإذا بالسوط يمتد إلى
 ما لا نهاية ، وإذا الصخرة الملسأ تتهاوى ، وكأنها منظر
 مصنوع من الورق المقوى فوق خشبة مسرح ، وتنفسح
 أمامى طريق واسعة من تحتها تلال وغابات على غرار
 المناظر المعهودة في بوهيميا ، وتراءت على بعد الفيالق
 البروسية وبنودها تخفق فوق رؤوسها ، فشعرت وإنما
 في الحلم بالفرح الشديد ، وفكترت أن أبشر به جلاله الملك

ثم استيقظت من حلمي من شرح النفس وقد قويت روحى
العنوية ..

ومن الواضح أن المسارك الصعب الذى يبدو في الجزء
الأول من الحلم ، إنما هو اشارة الى المأزق الذى كان
يشعر به « بسمارك » في تلك الفترة السياسية الحرجة ،
وليس بعيد أنه في تلك الليلة أطال التفكير في الموقف
قبل أن ينام ويظهر أن عزة نفسه لم تسمح له بالاستقالة
بسبب الأزمة ، وهذا ما عبر عنه الحلم بعجزه عن التراجع
أو الترجل ..

اما بقية الحلم فواضح انه تحقيق رغبة الحالم في انفراج
الأزمة بعجزة ، وأن يرى الجيوش البروسية مظفرة
منفردة بالسلطان ..

وقوة « بسمارك » في أنه لم يكتف بتحقيق الرغبة في
الحلم ، بل فرض رغبته على عالم الواقع .. وجدير
بالذكر أن السوط الذي ضرب به الصخر شبيه بالعصا
التي ضرب بها موسى البحر ففلقه نصفين رمزاً للمعجزة



الفصل الخامس

أضفاف أم حرام • أم حرام غير معقولة



أصناف أحلام

كل منا مرت به أحالم غير معقولة .. ونحن في العادة لا ندقق في تأويل هذه الأحلام ، ونكتفى بأن نصفها أصناف ولكننا في مثل هذا البحث عن مصادر الأحلام ، لا نستطيع أن نغفل هذا الجانب أفالاً تماماً كما يصنع سواد الناس .. بل نرى حسب منهجنا أن هذه الأصناف المزعومة لها أفراد مثل سائر الأحلام رغم عدم معقوليتها ، وسأضرب أمثلة لأحلام تبدو غير معقولة في الظاهر ، حتى إذا أمعنا النظر فيها وجدنا لها مغزى ، وسأضرب في البداية أمثلة يبدو فيها ألب الميت منذ زمن وكأنه على قيد الحياة ..

وأول هذه الأحلام ، رأه مريض من مرضى مات أبوه قبل تاريخ هذا الحلم بست سنوات كاملة :

ـ كان أبي مسافرا بقطار الليل ، فخرج القطار عن القضبان .. وكان من أثر ذلك أن تهشم رأس والدى بين خطام المقاعد حتى صار كالفطيرة ، ورأيته بعد هذا مسجى في فراشه وفوق حاجبه الإيسر جرح طولى .. ثم أعجب من أن يصاب أبي بهذه الكارثة لأنه كان قد مات من قبل ! وأدهش لان لون عينيه بدا فاتحا للغاية !

والذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن الحالم كان قد نسى واقعة وفاة أبيه منذ سنوات طويلة ، ثم تذكر فى أثناء الحلم تلك الحقيقة فدهش لها .. ييد أن هذا التعطيل

لا جدوى منه ، وحقيقة الامر أن هذا الشخص كان قد كلف نحاتا أن يصنع تمثلاً نصفياً لابيه منذ مدة ، وقبل الحلم بيومين ذهب الى « ورشة » النحات وشاهد مشروع التمثال ، وكان النحات يسترشد في صنع التمثال بالصور الشمسية لأنه لم يكن رأى الفقيد في حياته قط ، وخيل الى الحال أن تمثال والده قريب ما بين العارضين جداً ، كأنما قد ضغط بين قوتين متقابلتين .. ومن هنا حلم أن حطام المقاود في القطار قد أطبق على رأس أبيه من جانبيه ، يضاف الى هذا انه كان من عادة ذلك الوالد ، اذا أضناه التفكير او حزبته مشاغل الحياة ومازقتها ، ان يضم جانبى رأسه بين كفيه ..

ويذكر الحال أيضاً أن مسدساً انطلق خطأ ذات يوم في الحجرة التي بها أبوه ، فاسودت عيناً الوالد بشدة .. وهذا هو ما قلبه الحلم على حسب منهج الابداً ، فصار لون عينيه فاتحاً بدرجة تدعو للدهشة ..

واما ما رأه في الحلم على صورة جرح رأسى فوق الحاجب الايسر ، فهو نوع من الابداً أيضاً لخط مستعرض في جهة أبيه - وفي ذلك الموضع بالذات - كلما استفرقه التفكير ، ييد أن الابداً في هذه المرة لم يكن حراً بل جاء نتيجة اندماج مع شرخ رأسى أصاب زجاجة التصوير التي استعملها الحال قبل يومين من الحلم لالتقط صورة ابنته الصغيرة ، ظهر الشرخ في الصورة ، وكان الطفلة مصابة بجرح رأسى فوق حاجبها الايسر ، وقد تشاءم الحال لأنه قبل وفاة امه بيومين سقطت من يده زجاجة صورتها السلبية فتحطم.

وهكذا تردد هذه المتناقضات « الحلمية » الى اشتات من الذكريات لها ما يبررها من الاحداث السابقة على الحلم والذكريات بعيدة معاً ..

وأضرب مثلا ثانيا من أحلامي شخصيا ، وكان والدى قد مات قبله بسنوات :

— رأيت والدى بعد موته يقوم بالتوحيد بين طوائف المجرمين المتنابذين .. ثم تراءت لي صورة غير واضحة يلمهور كبير من الناس كأنهم في مجلس الرايخ محظيين بشخص واقف فوق مقعد ، وعندئذ اتذكر أن أبي كان لحظة موته يشبه الزعيم الإيطالي « غاريبالدى » شبيها كبيرا ، فيسرني في الحلم أن هذا الشبه قد صار حقيقة واقعة ..

وقد رأيت هذا الحلم في وقت اشتد فيه تنافذ المجر فيما بينهم .. وأما الصورة التي كأنها لمجلس الرايخ فاعتقد أنها إعادة لصورة تاريخية رأيتها فيما مضى ، وقد احتل والدى يوقوفه فوق المقعد مكان الرياسة ، وهذا معقول بالنسبة لمن قام بتوحيد صفوف الأمة .. وأما أن أبي لحظة موته كان يشبه « غاريبالدى » فحقيقة واقعة أيضا ، وإذا كان هذا الشبه قد ظهر لنا عقب موت أبي — لا في حياته — فإنه يشاهد قيام أبي بدور الزعامة السياسية بعد أن مات ، وليس وهو على قيد الحياة ..

ولكن لماذا اختار الحلم لوالدى بلاد المجر ميدانا سياسيا لا إيطاليا مثلا مع أنه كان يشبه « غاريبالدى » عقب وفاته ؟

وهنا يبرز التعليل الباطن أو الرابطة الكامنة وراء أجزاء الحلم ، فقد كان أهتم ما يشكو منه أبي هو شلل المصارين .. ذلك الشلل الذى كان يعرقل عمليات الجسم ويتهدم الحياة ، وفي زمن الحلم ، كانت المجر على شفا الانهيار لأن التآورات البرلمانية كانت تعرقل وتکاد تشل

الحياة السياسية .. فالجامع بين المجر والدى هو خطر الشلل والتعميق في الحالتين ..

وأما الرغبة التي حققتها الحلم ، فهي أن تكون ذكرى الاب بعد وفاته ذكرى عاطرة تملأ النفس بالخشوع والإجلال ، وبهذا الحلم يوجد المبرر لتشبيهه الوالد بالزعيم « غاريبالدى » ، ولا يكون الشبه بينهما مجرد صدفة سطحية عارضة ..

وهناك مبرر لا يستهان به لظهور الاب في الحلم بعد وفاته وكأنه على قيد الحياة .. وذلك أن نفوسنا مشغولة دائمًا بآبائنا الراحلين ، وما أكثر المواقف التي يقول فيها المرء :

— ماذا كان أبي حريًا أن يقول في هذا الموضوع ؟
ولا يملك الحلم لترجمة هذه الامتناعية إلا أن يفترض أن الرغبة تحققت رغم أن الحقائق الضخمة وهو موت ذلك الوالد منذ زمن ، فيجعل الوالد يتصرف كما لو كان حيا لم يفته الشري ..

وهناك نوع آخر من الاحلام ، يرى فيه الحال ذويه الراحلين .. وكأنهم على قيد الحياة ، وفي جزء من الحلم يبدو أنهم رغم وجودهم على قيد الحياة في عداد الموتى مما يجعل الحلم غير معقول ، ولكن في الحالين يعبر عن تحقيق رغبة الحال ..

وأعرف شخصياً رجلاً افطر في عنایته بأبيه في مرضه الأخير ، وحزن لموته حزناً شديداً .. وبعد وفاة أبيه بمنة طويلة روى لي هذا الحلم :
— رأيت أبي وكأنه على قيد الحياة يكلمني مثلما كان

يُفْعَلُ فِي حَيَاتِهِ .. وَلَكِنِي كُنْتُ أَعْلَمُ وَأَنَا أَكْلَمُهُ أَنَّهُ مِيتٌ،
أَمَا هُوَ فَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي ذَلِكَ !

وَتَفْسِيرُ هَذَا الْحَلْمِ الْمُتَنَاقِضُ أَنَّ الْحَالَمَ اثْنَاءَ قِيَامِهِ
بِتَمْرِيزِ أَيِّهِ تَمْنَى لَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّ يَمُوتَ كَمَا لَا يَطْوُلُ
عَذَابَهُ بِغَيْرِ طَائِلٍ .. فَلَمَا حَقَقَ الْوَاقِعُ هَذِهِ الْآمِنِيَّةُ
اللَّاشْعُورِيَّةُ ، ثَارَ فِي النَّفْسِ فِي مُقَابِلَتِهَا نَدْمٌ لَا شَعُورٍ
أَيْضًا .. كَانَمَا هَذِهِ الْآمِنِيَّةُ قَدْ عَجَلَتْ حَقًا بِمُوْتِ الْأَبِ ،
وَهَكَذَا ظَهَرَ الْأَبُ فِي الْحَلْمِ وَكَانَهُ لَمْ يَمُتْ أَرْضَاءً لِرَغْبَةِ النَّدْمِ
وَعَزَاءِهِ عَنْهَا ، وَكَانَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ مِيتًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمُ
ذَلِكَ وَكَانَ ذَلِكَ تَحْقِيقًا لِلْآمِنِيَّةِ اللَّاشْعُورِيَّةِ !

وَأَنَا أُعْتَرِفُ أَنَّ الْأَحْلَامَ الَّتِي يَظْهُرُ فِيهَا مِنْ يَحْبِبُهُمُ الْحَالَمُ
مِنَ الْأَمْوَاتِ وَكَانُوهُمْ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ ، أَنَّمَا هُوَ أَحْلَامٌ
عَسِيرٌ لِنَسْكِنَ السَّهْلِ تَفْسِيرُهَا تَفْسِيرًا وَاضْحَى مَقْنَعًا
فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .. وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ لَيْسَ ذَنْبٌ مُنْهَجٌ
الْتَّفْسِيرُ الْعَلْمِيُّ بَلْ مَرْجِعُهُ إِلَى مَا فِي عَلَاقَةِ الْحَالَمِ بِهُؤُلَاءِ
الْإِشْخَاصِ مِنْ تَنَاقِضٍ ، وَأَنِّي لَاقِرٌ أَنْ مَنْهَجِي فِي تَفْسِيرِ
الْأَحْلَامِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ تَدْلِيلِ جَمِيعِ الْعَقَبَاتِ وَحْلِ الْأَغْزَارِ
الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَحْفَلُ بِهَا مِثْلُ هَذِهِ الْأَحْلَامِ الْمُعَقَّدةِ

وَسَأُرُوِيُّ أَلَّا نَحْلَمُ مِنْ أَحْلَامِنَا الشَّخْصِيَّةِ إِسْتَطَعْتُ
أَنْ أُضْبِطَ فِيهِ مَصَادِرُ الْخُلُطِ الَّتِي جَعَلَتْهُ غَيْرَ مُعْقُولٍ ..
وَهَذَا الْحَلْمُ جَاءَ عَقْبَ رَؤْيَايِّي لِلْكُونَتِ تُونَ - عِنْدَ
قِيَامِي بِالْإِجازَةِ الصِّيفِيَّةِ - وَقَدْ رَأَيْتُنِي رَاكِبًا عَرْبَةً مِنْ
عَرَبَاتِ الْخَيْلِ ، وَأَمَرَ الْحَوْذَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَحْطةِ ،
وَشَعَرْتُ فِي الْحَلْمِ أَنَّ الْحَوْذَى يَبْدِي مُمَانَعَةً ، وَكَانَهُ يَحْتَاجُ
لِأَنِّي أَزْعَجْتُهُ ، فَأَقُولُ لَهُ :

- أَنَا طَبِيعًا لَيْسَ فِي وَسْعِيْ أَنْ أُرْكِبَ مَعَكَ فِي عَرْبَتِكَ
كُلَّ مَسَافَةِ القَطَارِ !

والمدهش أنني ما أنت قلت له هذا في الحلم حتى
احسست وكأني ركبت عربته بالفعل نفس المسافة التي
يقطعها القطار !
وابداً بالظروف التي احاطت بي في اليوم السابق
للحلم ..

ركبت عربة أجرة كي أتوجه إلى شارع بعيد بالضواحي .. وكان الموزى يجهل موقع ذلك الشارع بالضبط ، ولكنه لم ينبهني إلى ذلك ، بل فعل ما يفعله أهل هذه الطائفة دائماً ، افترض أنني أجهل المكان وراح يضرب على غير هدى ، ولكنني فطنت إلى ما فعل بعد حين ، فارشدته إلى الطريق الذي ينبغي أن يسلكه ، وأتحفته بكلمات توبيرغ لاذعة ، وهنا أحب أن أنه القاريء إلى أن الموزية يرتبطون في ذهني بنوع من الارتباط الخاص بطبقة النبلاء ، لأن نبلاء النمسا مغرمون بقيادة العربات بأنفسهم .. وكان الكونت تون هو حوذى عربة الدولة العجيبة أن الموزى في الحلم لم يكن يمثل الكونت تون ، بل كان يمثل شقيقى ، والمناسبة التي دعت إلى ذلك أننى كنت قد اعتزرت في هذه السنة أن أقوم معه برحلة لايطاليا التي أحبها جداً ، بيد أنى الفيت هذه الرحلة توييضاً لآخر أذ بلغنى تذمره من سفرى معه لأنى أزعجه بالتنقل السريع من بلد إلى بلد ، ونهى إلى مشاهدة آلاف الأشياء الجميلة في أقصر وقت

وفي مساء الذى رأيت فيه الحلم ، ركب آخر معى عربة إلى محطة السكة الحديد .. ولكن قبل أن تصل العربة إلى المحطة الرئيسية ، قفز آخر منها إلى محطة خطوط الضواحي ليذهب إلى ضاحية « بوركسدورف » مع أنه كان في استطاعته أن يذهب إليها بالخط الرئيسي ، وبذلك يبقى معى مدة أطول ، وهذا هو مصدر ما رأيته في الحلم ،

وكانى ركبت العربة نفس المسافة التى يقطعها القطار ، وكل ما هناك أن الحلم استخدم الضد اى عكس ما حدث فعلا ، وهذا العكس ترتب عليه أن يستخدم الحلم العربة بدلا من القطار ، وأن يحل الموزى محل أخي .. ومن هنا بدا الحلم غير معقول

وسأذكر الآن حلما غير معقول كذلك محوره أبي المتوفى :
— رأيت أني تسلمت من بلدية مسقط رأسى اخطارا طالبني فيه بسداد مبلغ معين ، بدعوى أنه في عام ١٨٥١ أصيب شخص بأغماء وهو في بيته ، ونقل إلى المستشفى حيث استيقوه هناك وأنفقوا على علاجه ، وما أن أقرأ في الحلم هذا التبليغ أو الإنذار حتى انفجر ضاحكا لأنى لم أكن ولدت في عام ١٨٥١ المزعومة ، وبفرض أن هنالا الإنذار موجه إلى أبي ، فإبى قد مات منذ زمن ، ورغم علمي بذلك أذهب وأنا في الحلم إلى الحجرة الأخرى حيث أجد أبي في فراشه واستوضحه المسألة ، وكم كان عجبي إذ يقر أبي أنه أفرط في الشراب ذات مرة عام ١٨٥١ مما أدى إلى القائه في الحبس ، وكان وقتئذ يعمل لحساب شركة كذا ، فأسأله مستنكرا : وهل كنت مدمنا على السكر أيضا ؟ وهل مع ذلك تزوجت فيما بعد ؟ .. ثم أقوم وأنا في الحلم بحسبية أعرف منها أنى ولدت عام ١٨٥٦ ، ولكن يخيل إلى في الحلم أن هذا العام هو التالي مباشرة لعام ١٨٥١

والدهش في هذا الحلم أن المشهد الاساسى منه عبارة عن مشادة حامية سافرة بينى وبين أبي ، وأنى لم أتورع عن صب التجريح اللاذع عليه ، ولا نكاد ندرى كيف يمكن مثل هذا العمل — لو أنه كان صادرا عن وفبة لا شعورية —

أن يمر بهذا الوضوح الصريح بين سمع الرقابة الشعورية
ويصرها ..

ييد أن هذه الحيرة تتبدل سريعاً إذا فطنا إلى أن الوالد المتوفى ليس في هذا الحلم إلا ستاراً لشخص آخر ، وأن هذه المشادة إنما تحدث في الحلم بيني وبين ذلك الشخص الآخر في الحقيقة .. فكأن الحلم في هذه المرة قام بعملية قلب أو ابصال غريبة .. إذاً أن الحلم حين يخرج الابن عن الاحتشام نحو الوالد ، يدع شخصاً آخر يقوم بالحلول محله أرضاء لمتضيقات الرقابة ، أمّا في هذا الحلم بالذات ، فقد كان الاب مجرد قناع تختفي وراءه الشخصية المدققة لمن أصب عليه سخريتي ، ولا أشعر في الحلم بأى تأنيب أو حرج لأن الشخص الحقيقي الذي أهاجممه وأجرحه ليس هو أبي بل الشخصية المختفية من ورائه ومناسبة هذا الحلم التي كنت قد سمعت ، قبله مباشرة ، أن أستاذًا من أكبر الرماد مقاماً ويعتبر حجة وحكمًا في الوسط العلمي قد صارح الناس باستئثاره لأنّي ظللت أعالج مريضاً من مرضي بالتحليل النفسي طلي مدى خمس سنوات ..

ووجه الشبه بين هذا الاستاذ الزميل الكبير وأبي ، انه كان يقوم بالنسبة لي ببعض ما صار أبي عاجزاً عن القيام به نحوى من المسؤوليات بسبب موته .. فلما بلغنى عنه أنه يهاجمنى في المجالس نشب في داخلى صراع انفعالي كالذى ينشأ عادة في سريرة الابن حين تضطرب علاقته بأبيه

وأما مطالباتي بما لا يعقل أن أطالب به من الفرامة لأنّي لم أكن ولدت في تاريخ استحقاقها ، فهو كناية عن احتجاجي على ذلك الزميل لأنّه يلومنى على ما لم يكن في وسعى أن أتفاداه .. فما ذنبى إذا كانت حالة المريض

لم تسمح لي بعلاجه في مدة أقل من هذا؟ وهل توجد طريقة أخرى لعلاج مثل هذه الحالة في مدة أسرع؟ .. أن الزميل الكبير يعرف كل هذا، فليس من العقول أن يلومني عليه لوما لا تستحقه، كما أنتي لا تستحق الغرامة التي لم أكن ولدت حين توقيعها!

. وأما ذهابي إلى الغرفة الثانية، فدليل آخر على أن أبي الميت كان قناعاً للذك الشخص الحي، وأن ذهابي إليه في الحلم كأنه صيغة توبية للذك الزميل الكبير الذي يقارن موقفه مني بموقف أبي مني حين ذهبت إليه في حجرته بالبيت، وأخبرته بنبأ خطبتي لزوجتي من غير أن استأذنه سلفاً، رغم ما كان أبي يتمتع به في الأسرة من سلطان أبوى مطلق ومهابة على الطراز القديم .. فقد أظهر أبي في تلك المناسبة سماحة لن انساها

وكانى بهذا أقارن في الحلم بين سماحة أبي وأغضائه عن تناسي مكانته وحقوقه، وبين مسلك من حل محل أبي إذا هاجمنى من غير وجه حق

واما سبب توبيخى في الحلم لابى ، وتعييرى اياه بالسكر، فينصرف أيضا الى الشخص الحقيقي الذى كان يمثله أبي في الحلم .. فان هذا الشخص كان قد اعترف لي بأنه في صدر شبابه كان قد أدمى نوعا من المخدرات الطبية حتى ساعت صحته وعولج فترة طويلة في احدى المصادر

وعلى هذا الاساس ، يكون تعييرى موجها الى ذلك الاستاذ العظيم وهو الدكتور ماينيرت ، بأن من كان مثله قدوة لرجال العلم ينبغي الا يلوم الناس على هفواتهم ، وفي صفحاته مثل تلك السقطات المخجلة !

واما اعتقادى في الحلم أن عام ١٨٥٦ هو التالى مباشرة لعام ١٨٥١ فهو ترجمة مباشرة لقولى أن مدة الخمسة

أعوام التي طالها العلاج ليست بذات قيمة ، وأنها لا تساوى أكثر من عام واحد في الواقع لأن الذنب ليس ذنبي بل أن ظروف الحالة هي التي أوجبت ذلك وأزيد الامر وضوها ، فأقول أن لمدة الخمسة أعوام علاقة أخرى لشعورى .. غير موضوع تشهير العلامة مائيرت بي ، فتلك الفترة نفسها هي التي ظلت أوجل فيها زواجي ، وجعلت خطيبتي تنتظر اتمام الزواج كل تلك المدة .. فأنا في الحلم أيضا أهون على نفسي هذا الارجاء !



أحلام غير معقوله

وقد تتخذ الاحلام غير المعقوله علم الحساب ، وما فيه من ارقام ، مادة لاضفاتها .. ولذا سأروي حلما من احلامي شخصيا كنموذج لتلك الطائفة :

- حلمت أن صاحبالي هو « م » نشرت احدى الصحف مقالا ضدء اعتقدنا كلنا أنه تجاوز كل حد ، وكان صاحب المقال هو الشاعر العظيم « جوته » بقصبه وقضيضيه ، وتآذى « م » كل التآذى من المقال ، وبخار منه بالشكوى الى الحاضرين في احدى الولائم ، ولكنه لم يسمح لهذه المسألة الشخصية ان تقلل من تقديره لجوته .. وأحاول وأنا في الحلم ان أراجع التواريخ ، فاذكر أن « جوته » مات عام ١٨٣٢ ، فلا بد ان يكون مقاله ضد « م » سابقا على هذا العام ، وبالتالي يكون « م » وقتئذ في مطلع شبابه ، ويخيّل الى أنه غالبا كان في الثامنة عشرة ، وأشعر أنني غير متأكد في اي عام نحن الآن ، ويؤثر ذلك على حسابي ويكتنفه الفموض .. ولكنه أدرك أن هجوم « جوته » على صاحبى جاء في غضون مقال « جوته » المشهور عن الطبيعة ..

وهذا ولا شك حلم بالغ الغاية من السفاهة التي يبدوا من المستحيل العثور على تبرير لها .. ولكن سأذكر الآن ما يكتنف الحلم من ذكرياتي ..

اما « م » فقد تعرفت به لأول مرة وسط مجموعة من الرفاق المدعوين الى وليمة ما ، ومنذ امد قصير

طلب مني أن أفحص شقيقا له يعتقد أنه يعاني من أمراض اضطراب عقلي معين ، وثبت أن «م» لم يجنب الصواب في حده عندما أتاني بأخيه في عيادتي وفحصته ..
وفي غضون هذه الزيارة الأولى أتى المريض شيئا سخيفا ، فقد أخرج أخيه من غير مبرر بأن فضح جانيا من سفاهات صباح .. !

وفي هذه الزيارة أيضا ، سالت المريض فيما سأله عن عام مولده ، وكان من إجراءات الفحص أن يقوم بعمليات جمع صغيرة كي أعرف إلى أي مدى يصل به ضعف الذاكرة ، فإذا به يقوم بتلك العمليات على خير

وجه ولعل الحلم يشير إلى هذه الوسيلة من وسائل الامتحان ، إذ قمت أنا في الحلم بما كنت أتوقعه من المريض شقيق «م» فلم أعرف بالضبط في أي عام نحن ..
أما المقال الهجومي فهو يشير إلى مسألة أخرى وقعت منذ زمن وجيـن .. فلى صديق يصدر مجلة طبية ، وقد نشر في تلك المجلة هجوما عنيفا تجاوز كل الحدود المعقولة ضد كتاب لصديقى المحترم «ف» ، وكانت المقال شاب صغير السن جدا وقدرته على التمييز محدودة ، فوجدت من واجبي أن أتدخل .. فناقشت صاحب المجلة معمتمدا على ما بيننا من صداقتـه ، فأبدى أسفه الشديد لقادمه على نشر ذلك المقال .. ولكنه لم يفعل شيئا لتصحيح الوضع فحررت إليه خطاب استقالة من تحرير قسم من مجلته ، وأعربت له في ذلك الخطاب عن اعتقائى على مودتنا الشخصية

و واضح أن هذا هو ما يشير إليه الجزء من الحلم الخاص بنقد «جوته» لصديقى «م» .. ولكن الأوضاع فيه مقلوبة كما هو معهود في كثير من الأحلام ، فالهاجم الناقد

هفليم القدر كبير السن ، والمنقود شاب في حداثة العمر ،
ورغم عنف الهجوم بقيت المواتيف الشخصية بمنجاة من
التأثير بها ..

ولتكن ما الذي أثار موضوع « الطبيعة » في الحلم ؟ ..
منذ عهد غير بعيد كانت احدى مريضاتي تصف حالة
 أخيها الذي كان مصابا أيضا بمرض عصبي ، وأخذت
تقلد صياغة أثناء النوبة :

— أيتها الطبيعة ! .. أيتها الطبيعة ! ..

وظنوا الحاضرون أن هبّته الصبيحة صدى لطالعات
المريض في أدب « جوته » ومقاله المشهور عن الطبيعة ..
أما أنا فقلب على ظني أن المريض يقصد معنى جنسيا
يرتبط باللغزى الدارج لكلمة الطبيعة على السنة
العوام .. ثم صدقت الحوادث ظني بعد ذلك ، عندما
عمد الشاب المسكين في أحدى نوباته التالية إلى استئصال
أعضائه التناسلية ، وكانت سنه في ذلك الوقت لا تزيد
عن ثمانى عشرة سنة !

وسن الثانية عشرة هو نفس السن الذي عزاه الحلم
إلى صديقى « م » عندما حطمه « جوته » بهجومه
الساحق ..

و واضح أيضا ان الحلم يسلك مسلك التهكم الشديد
عن طريق قلب الأوضاع ، فهو يفترض شيئا سخيفا
وغير معقول .. وأعني به مواجهة « جوته » العظيم
لشاب لم يتجاوز سن الفلمان ، فلا بد أن يكون أشد من
ذلك هنرا وملعاة للاستئثار أن يهاجم شاب في عمر
الفلمان شيئا جليلا من الخالدين مثل « جوته » الذي
يقوم في الحلم مقام صديقى المؤلف « ف »
وأذكر أيضا حلما من الأحلام غير المعولة التي ترأت

لى ، نرى فيه استخداماً للصيغة اللقطية لا يسيغه الفهم
لأول وهلة :

— رأيت انه جرت في مدينة روما أمور تحتم بسببها
ترحيل الأطفال الى موضع مأمون ، وقد تم ذلك فعلاً ..
والنظر أمام مدخل المدينة — وهو ذو مصراعين على
الطراز العتيق — وقد ادركت وأنا في الحلم أن ذلك الباب
هو الذي يوجد حقيقة في مدينة سينينا مع أن المشهد
في روما ، وأجد نافورة من النافورات المنتشرة في ايطاليا،
فأجلسن على حافتها واجما تكاد تسيل دموعي ، وتقبل
اثني لعلها راهبة أو مربية ، ومعها طفلان تعطيهما الى
والدهما الذي كان بالقرب مني .. ولكن أكبرهما هو
ابنى البكر بلا شك ، أما الولد الآخر فلا أتبين وجهه ،
وتطلب منه التي جاءت به أن يمنحها قبلة وداع ، فأت彬
أن انفها أحمر اللون بصورة واضحة ، ويرفض الطفل
أن يقبلها .. ييد أنه يشد على يدها مودعا يقول لها كلمة
غريبة ليس لها معنى لغوى ، ثم يلتفت نحوى ، أنا
والرجل الآخر ، ويقول كلمة قريبة منها في اللفظ ، وليس
لها أيضا معنى ولكن يخطر بيالي وأنا في الحلم أن هى هذه
الكلمة الأخيرة تعنى أنه يفضلنا عليها

والآن لابد من التمهيد لهذا الحلم بالذكريات التي
حدثت قبله ، فقد شهدت مسرحية أثارت مناظرها بعض
اجزاء هذا الحلم ، وواضح ايضا أن متاعب اليهود لها
صلة بالافكار المنشئة في طياته ، فاليهودي في المانيا والنمسا
وما اليهما من البلدان يشعر بالهم لانه لا يضمن لابنائه
وطنا مستقرا ، ولا يعرف كيف يوفر لهم نوعاً مناسباً من
التعليم يسهل لهم الحياة عندما تضطرهم الظروف
للرحيل من بلد الى آخر فجأة
ومدينة سينينا مشهورة بنافوراتها البدوية مثل روما ،

ولما لم أكن قد رأيت روما عنده من قبل ، فلم يكن بد من أن أستدل عليها في الحلم بمنظر رأيته من قبل وهو مدخل مدينة سيبينا ، وبالقرب من هذا الموضع كنت قد رأيت في رحلتي بناء كبيرا علمت أنه مصححة أمراض عقلية ، وقبيل الحلم بلغنى أن أحد أبناء ديانتي اضطر للاستقالة من المنصب الكبير الذي كان يحتله عن جدارة في مصححة كبيرة للأمراض العقلية

وأما الجلوس على النافورة والتهيؤ للبكاء ، فمشهد مستمد من المزמור الذي يصف نفي إسرائيل إلى أرض بابل ويقول : على أنهار بابل هناك اجلسنا وبكينا عندما تذكروا صهيون ..

وأما الكلماتان اللتان قالهما الطفل في الحلم فكريبتان من كلمة التحية الالمانية المألوفة « إلى المتنقى » .. ولكن جرسها اللغظى مستمد من أصل عبرى قديم معناه الفجيعة ، وأما الكلمة الأخرى التي تفيض التفضيل وليس لها معنى لغوى أصلى ، فلعلها إشارة إلى العجين غير المختمر الذي يفضل استخدامه اليهود

فوراء هذا الحشد من التخبط في الحلم ألوان من التيارات النفسية والاهتمامات التي تشغل السريرة .. فلو عرفنا كيف تعمقها لوصلنا إلى كثير من الدراسة النافعة ببوطن أحوانا ، وكان الحلم حين يتظاهر بالتخبط والجنون يسلك مسلك الامير العظيم « هملت » حين اتخذ من الجنون قناعا ليلقى بتأملاته الحكمة التي لا يبتذلها من لا يدققون في معرفتها .. !

لا يمكن أن يحتوى حلم الانسان السوى على الخصوص على هراء غير معقول ، ولكن الهراء يخفى تحته – هن قصد – سخرية لاذعة أو تبكيتا .. وكانه يصف

بالتخيط ومجافاة العقل والمنطق من يشير اليهم من
الأشخاص والاحاديث

ومن الواجب عندما يروى الإنسان في حال اليقظة
حلمها ، من النوع غير العقول ، أن يدخل في حسابه
ما يستثيره تذكر أجزاء الحلم من تعليقات ومشاعر ، فان
هذه تعتبر إلى حد كبير عنصرا من عناصر المضمون الخفي
للحلم ، وينبغي أن يكون لها شأن مذكور في تأويله ..

واما للفائدة ساذكر نماذج تعين على توضيح
الفكرة ..

قالت احدى السيدات أنها لا تستطيع أن تتذكر
حلمها لأنها ليس واضحا لها الآن كما يجب ، فكل ما تعرفه
أنها رأت في الحلم شخصا ليست واقفة هل هو زوجها أم
والدها .. ثم رأت في الحلم منظرا ثانيا جاء فيه شيء عن
آنية السماد

ولما سألتها عما يشير ذكر السماد لديها من الخواطر ،

قالت :

ـ في الفترة الأولى من زواجي لم أكن متعرسبة
باعمال البيت ، فقللت على سبيل المزاح أمام قريبة لي :
أن أول ما سأفعله هو شراء وعاء سماد جديد للبيت ! ..
وإذا بهذه القريبة تفاجئني في اليوم التالي باهدائي
صندوقا للسماد مليء بالازهار الجميلة

وهذا الجزء من الحلم ليس منقطع الصلة بتعبير المانى
شعبي معناه التخلص من التبعية أو التبرؤ من النسب ،
وفي نهاية تحطيل حلم هذه السيدة ، اكتشفت أن مضمونه
يتصل برواية سردت على مسامعها وهى صغيرة عن
شابة وضفت طفلا لم يعرف أحد من عسى يكون أبوه

وهكلا يخفي الحلم المطموس الذي طمرته الذاكرة عند
البيضة صلة قد لا يجد الحال في حال يقتضيه ما يغريه
باستعادته

ومن هذا القبيل أيضا حلم رأه أحد مرضى ، وأعتقد
أنه شديد الأهمية في علاجه التحليلي ، فقدر أن يذكره
لي بحذافيره ، وقامت بتحليل الحلم فإذا به يتضح بصورة
جلية علاقة جنسية عقدها الحال في فترة العلاج ، وكان
متشددًا في كتمانها عنـ .. فقام هذا الحال بارغامه على
اعتراف وهو لا يدري !

ونموذج ثالث كنت أنا الذي رأيته في أحلامي :

ـ رأيتني متوجهًا إلى المستشفى مع صديقي « ب »
مخترقين حيـا تكثـر فيه الحدائق والمنازل المتـباعدة ، وخطرـ
لى وأنا أحـلـم أـنـي رـأـيـتـ هـذـاـ الشـهـدـ مـرـارـاـ فـيـ أـحـلـامـ سـابـقـةـ
ولـمـ أـتـبـيـنـ الطـرـيقـ الـذـيـ نـسـلـكـهـ .. فـارـانـىـ رـفـيـقـيـ « بـ »
شارـعاـ يـؤـدـىـ إـلـىـ مـطـعـمـ يـقـعـ عـلـىـ نـاصـيـتـهـ ، وـقـاعـةـ الطـعـامـ
داـخـلـ الجـدرـانـ لـاـ فـيـ الـحـدـيـقـةـ ، وـسـأـلـتـ هـنـاكـ عـنـ السـيـدةـ
« دـ » فـقـالـواـ لـىـ إـنـاـ تـقـيمـ فـيـ حـجـرـةـ خـلـفـيـةـ صـفـيـرةـ مـعـ
ثـلـاثـةـ أـطـفـالـ ، فـاتـجـهـتـ إـلـىـ هـنـاكـ .. وـلـسـكـنـ قـبـلـ أـنـ
أـصـلـ إـلـىـ الـحـجـرـةـ قـابـلـتـ شـخـصـاـ لـمـ أـتـبـيـنـ مـلـامـحـهـ ، وـفـيـ
رـفـقـتـهـ طـفـلـتـايـ الصـفـيـرـتـانـ ، وـصـحـيـتـهـمـ بـعـدـ أـنـ جـلـسـتـ
مـعـهـمـ فـتـرـةـ ، وـدارـ بـذـهـنـيـ السـخـطـ عـلـىـ زـوـجـتـيـ لـأـنـهـ
تـرـكـتـ الـبـيـنـيـنـ فـيـ ذـلـكـ الـمـكـانـ ..

وـأـوـلـ مـاـ خـامـرـنـيـ عـنـ الـبـيـظـةـ هـوـ السـرـورـ العـظـيمـ لـأـنـيـ
بـهـذـاـ الـحـلـمـ سـأـعـرـفـ بـطـرـيقـ مـباـشـرـةـ الـعـنـىـ لـتـذـكـرـ الـحـالـ
رـأـيـ حـلـمـاـ سـابـقـاـ مـعـاـلاـ ..

هكذا ظننت في البداية ثم عرفت أن سروري لم يكن لهذا السبب بل للمضمون الخفي الذي يكمن وراء الحلم ، وهو أنني أتحت اطفالا .. فرفيقى « ب » الذى رأته يصحبى في الحلم كان ندا لي في الطفولة والشباب فعلا ، ويمثلنى في كل ظروفى ، ثم سبقنى أشواطا في الناحيتين المادية والاجتماعية ، وتفوق على فى كل شيء الا أنه لم يرزق من زواجه بأطفال ..

وأضيف الى ذلك أننى في اليوم السابق على الحلم ، قرأت في الصحف نعى السيدة « د » التى حلمت أننى أسأل عنها ، وكانت وفاتها أثناء الوضع ، وعلقت زوجتى على ذلك بأن القاتلة التى ماتت على يدها السيدة « د » هي بعينها التى تولت توليد زوجتى أصغر طفلينا

وأنسال الآن حلما من أحلامي تميز بشعور العجب الذى خامرنى في بدايته :

— أرى وكأن « بروكى » قد كلفنى بمهمة ما .. ومن عجب أن هذه المهمة تتصل بتجهيز الجزء الأسفل من جسمى شخصيا ، بما في ذلك الموض والساقيين ، وأرى هذه الأعضاء أمامى ، وكأنها على مائدة حجرة التشريح ، ولكنى لا أشعر بنقصان هذه الأعضاء من جسمى ، ولا يدخلنى أى أثر من الارتياع .. وكانت لويز واقفة بجوارى وتساعدتى في ذلك العمل . وانتهى من تفريغ الموض وبيدو الجزء الأعلى ثم الجزء الأسفل واضحين للعيان ، ولكن المستقطين يتداخلان ، وتبدو زواائد لحمية كبيرة حمراء تلمعونى وأنا في الحلم الى التفكير في البواسير ، ثم تتحتم رفع شيء بدا وكأنه يفططها ، وهذا الشيء أشبه بورق مفضض مجعد ومتكسر يحتاج رفعه الى حلزون ، ثم

استرددت ساقى ثانية ، وخرجت اتجول في شوارع المدينة ، ولما شعرت بالتعب ركبت عربة .. وكم كانت دهشتي حين وجدت العربة توصلنى الى الباب الامامي للمنزل ، وانفتح الباب وسمح للعربة بالمرور في دهليز افسي في نهايته الى أرض خلاء ، وأخيراً تجولت بين مشاهد متغيرة ، ومعي مرشد من مرشدى جبال الالب .. كان يحمل حقائبى ، ثم حملنى شخصياً مسافة ما مراعاة لما أصاب ساقى من تعب ، وكانت الأرض كثيرة الوحل ، فسرنا عند حافة الطريق .. وكان هناك قوم جالسين على الأرض يسبون الهنود الحمر أو الفجر ، ومن بينهم فتاة .. وحتى ذلك الوقت كنت أسير فوق الأرض الملوحة ، وأنا في دهشة متواصلة لقدرتي على ذلك السير بعد قيامي بالتشريح ، وأخيراً وصلنا الى بيت خشبي صغير في أحد طرفيه نافذة مفتوحة ، وهناك انزلنى المرشد الى الأرض ، ثم وضع لوحين من الخشب كانا معدين هناك من قبل ، وجعل طرفيهما على حافة النافذة كأنه يقيم قنطرة يعبر فوقها الهاوية من يريد الخروج من النافذة .. وعندئذ شعرت بفزع حقيقي بخصوص ساقى ، ولكن بدلاً من العبور ، رأيت رجلين بالفين يرقدان على مقعدين خشبيين مثبتين على جدار الكوخ .. ويجوارهما ما بدا لي كأنه طفلان نائمان ، وكان الذى سيجعل العبور ممكناً ليس هما اللوحان الخشبيان بل الطفلان ، وعندئذ استيقظت وأنا في حالة ارتياع ..

وإذا رأينا مدى ما في الاحلام من كثافة ، استطعنا أن نتصور مدى ما يقتضيه تحليل هذا الحلم تحليلاً تفصيلياً من عناء وتطويل ، ولكنى لن أتعرض هنا إلا لنقطة واحدة هي نقطة شعورى بالعجب أثناء الحلم .. والمناسبة التى أثارت الحلم هي زيارة من لويس الذى

رأيتها بجانبي في الحلم تساعدنى على العمل ، وفي هذه
الزيارة طلبت منى أن أعطيها كتاباً تقرؤه ، فزكيت لها
كتاب « هي أو عائشة » للروائي الانجليزى سيرى
« رايدر هجارد » وقلت في أسباب تزكيتى لهذا الكتاب :
ـ انه كتاب « مدهش » وفيه معانٌ خفية كثيرة عن
الانوثة وتجددها ، وعن احساساتنا وأبديتها ..
وعندئذ قاطعتنى لوينز قائلة :

ـ أعرف هذا الكتاب .. أريد شيئاً غيره

ـ مثل ماذا ؟ ..

ـ شيئاً من تأليفك مثلاً ..
فأجبتها ضاحكاً :

ـ كتبى التى يمكن أن توصف بالخلود لم تطبع بعد
فأجابتنى متهكمة :

ـ متى تظهر تبسيطاتك التى وعدت أن تكون فى
تناول فهم القارئ العادى ، حتى ولو كان من مستوانا ؟
وعندئذ لاحظت أنها تقول ذلك الكلام ، وكأنما قد
أوصاها شخص آخر أن تقوله لي .. فلزمت الصمت ،
وأتجه تفكيرى إلى الثمن الفادح الذى سأدفعه لو أنى
نشرت صفحات كتابى هذا عن تفسير الاحلام ، لما
سيترتب على ذلك حتماً من كشف الستار عن أسرار
كثيرة تتصل بحياتى الخاصة ومزاجي الشخصى وتكوينى
النفسي ، وتذكرت على الفور تلك العبارة الشعرية البليغة
التي وردت في الجزء الأول من « فاوست » على لسان
الشيطان .. اذ يقول للدكتور فاوست :

ـ خير ما يصل إليه علمك من حقائق الامور لن تجد
مناصاً من كتمانه في صدرك لأنك لا تجسر أن تفضي بسره
لتلاميذك

ومن هنا ندرك أن مشهد تشريح الجزء الأسفل من

جسمى شخصيا انما هو كنایة عن تحليلى لخفايا نفسى
تحليلا لابد منه وانا اعالج تفسير احلامى الشخصية ..
ولكن ما الذى جاء هنا بالعجز بروكىه ؟ ..

ان « بروكىه » هنا يأتى في موضعه الصحيح ، لأننى
في مستهل حياتى العلمية اكتشفت مسألة دقيقة .. ثم
تركت هذا الاكتشاف مهملا الى أن عرف ~~الشريح~~
« بروكىه » بأمره فوبخنى وأرغمنى على نشره ارغاما ،
وها هو ذا يأتى في الحلم ليقوم بالدور نفسه ، دور الحث
والالزام بنشر مكتشفاتى في تفسير الاحلام ..

واما قولى في اليقظة للويز عن رواية « عائشة » أنها
مدحشة ، فهو مقترن أيضا بما في الحلم من مناظر الوحل
والهنود الحمر والجسود المقاومة فوق الهاوية والبيوت
الخشبية .. وهى مناظر يكثر « رايدر هيجارد » من
استخدامها في مفامراته ..

والمحظى والمستحيل الذى يتحدث عنه « رايدر هيجارد »
والمnipاطق التى لم تطأها قدم انسان متحضر من قبل ،
والاهوال والمصاعب ، كل ذلك في روايات « رايدر هيجارد »
.. ولكنها أيضا ترجمة صادقة لعالم الاحلام الذى لم
ينفذ اليها منهج علمي من قبل ، والتي احاول بالمعاصرة
والعناء الشديد أن أصل إليها ..

والبيت الخشبي رمز للقبر .. أما الاطفال الملعونون
بالمجدان وكأنهم أداة العبور فوق الهاوية للخروج من
البيت ذى المنفذ الواحد ، فهم رمز لما يخامر الانسان من
أمل في أن يصل الاعقاب من الابناء والاحفاد الى النجاح
الذى يحول دونه الاجل

وهناك أيضا حلم انتخبه من بين احلامى الشخصية لما

اقترن به أثناء حدوته من العجب ، بل ومن محاولات للتأويل ، بعيدة المدى ، غريبة الواقع ، لا تخلو من ذكاء وفطنة ..

وقد رأيت هذا الحلم وأنا نائم في القطار ذات ليلة وكانتني أسمع من ينادى : « هولتون » .. سيفق القطار عشر دقائق :

وفي أثناء الحلم ، اتجه تفكيري فورا إلى « هولتون » ، ثم إلى متحف للتاريخ الطبيعي ، ثم إلى الثورة التي نسبت هناك من الآهالي الشجاعان ضد حاكم طاغية .. ولم يبالوا بتفوق جيشه ، وإن كانوا لم يظفروا بالنصر ، إن هذه هي الحركة الراجعة في النمسا ! .. وكان هذا الموضع من أقاليم التирول ، وأجد أمامي متحفا صغيرا فيه ما تبقى من آثار أولئك الرجال الشجاعان .. ولستني لا أراها بوضوح ، وأتمنى لو نزلت من القطار ، ولكن أحجم وأتردد ، وأرى على أفريز المحطة نساء يحملن الفاكهة ، مقعيات على الأرض ، وفي أيديهن السلال بصورة لطيفة ، وأتردد في النزول لأنني لست متاكدا من أن الوقت يسمح بذلك .. ييد أن القطار لا يتحرك ، وأجدني فجأة في ديوان آخر بالقطار وقد تقارب المقادير جدا بحيث يتتصق ظهرى بنهاية العربية ، ويدهشنى هذا .. وأحسن كأنى ذهبت إلى عربة أخرى أجد فيها أشخاصا كثرين ، منهم اخ وأخت إنجليزيان ، وعلى الرف كتب يرآها الناظر بوضوح ، ومن بينها « ثروة الأمم والمادة والحركة » لـ كلارك مكسويل ، وهو كتاب ضخم غلافه من قماش بني اللون ، ويسأل الإنجليزى أخته : هل نسيت كتاب شيلر ؟ وأشعر أن الكتب التي أمامي هي تارة كتبهما ، وتارة كتبى أنا ، وأجد دافعا للتدخل في حديثهما لأؤكده شيئا .. ولكنني أستيقظ عندئذ وقد تصيبت عرقا ،

وادرك أن النوافذ كلها كانت مغلقة ، وأن القطار واقف
في محطة « ماربورج »
واخذت أدون الحلم على الفور ، وعندئذ تذكرت فقرة
كنت قد غفلت عنها ، وهي :

— قلت بالإنجليزية للأخرين الانجليزيين ، وأنا أشير
إلى أحد الكتب : أنه من ... ثم صحيحت التعبير قائلاً :
أنه بقلم ... فقال الرجل لاخته : ها هو قالها من غير أن
يخطيء ..

و واضح ان الذى أطلق اشارة الابتداء في الحلم هو ما
سمعته ، وأنا نائم ، من نداء الموظفين باسم المحطة ..
فتسبب النداء في تنبئه ببعض الشيء ، فلم أتبين اسم
« ماربورج » وظننته « هولتون »

وقد اقتنى سفرى في تلك الليلة بظروف مزعجة
ومتعبة ، مع أننى كنت أركب في الدرجة الأولى .. ييد
ان القطار كان مزدحما جداً ، وشاركتنى في مقصوري
رجل وزوجته كانوا على درجة باللغة من سوء الأدب ،
ولعلهما عمداً أن يظهرا لي تذمراًهما لدخولى المقصورة
ومشاركتى إياهم فىها ، بحيث أنى أقيمت عليهما التحية
فتتجاهلاني وتتجاهلا تحسيتى ..

ومع أن هذين الزوجين كانوا يحتلان المقعد الذى إلى
جهة القاطرة ، فقد سارت السيدة باحتلال المكان الذى
يواجهها بجوار النافذة فوضعت فيه مظلتها ، وقام
السيد بإغلاق الباب ، وتبادل تعليقات فظة حول
مقتضيات فتح النوافذ وإغلاقها ، ولا بد أنها فطنا إلى
تشوقي في تلك الليلة الحارة إلى نسمة من الهواء الطلق ،
فأبدىاً تمسكهما بأحكام إغلاق النوافذ والباب .. ولم
تلبس المقصورة بطبيعة الحال أن استحالـت إلى ضاحية
من ضواحي جهنم !

وكنت قد عرفت من خبرتى فى الاسفار أن أولئك المتفطرسين قليلى الحباء يكونون فى الفالب من غير الركاب الأصليين للدرجة الاولى ، وانما هم ممن يحصلون بالمحسوبيه على ترخيصات سفر مجانية او على تصريح للسفر بنصف الاجرة او ربعها !

وكانت المرأة ذات وجه عجوز مجعد وملامع صارمة ، في سن تقارب سن اليأس . . . وأما الرجل فكان عتللاً صموماً ، ظل جامد الملامع لم يفتح فمه بكلمة واحدة . . . وبعد قليل ، صدق ظنى حين جاء ملاحظ التذاكر . . . فابرزت له تذكرتى التى دفعت فيها مبلغا طائلا ، وعندئذ قالت المرأة للملاحظ بلهجة آمرة متعالية :

— زوجى معه تصريح مجاني بالسفر . . .

وبعد انصراف ملاحظ التذاكر ، حاولت ان استریح من صحبتهما بالنوم . . . وبدأت انتقم في نومي من رفيقى السوء هذين

وما من شك أن الجزء الاول من الحلم حفل بأنواع من القذف والسب والاحتقار . . . ولكن هذه الاجراء من الحلم تطابرت عند اليقظة لانها أدت مهمتها وانقضت الحاجة اليها . . .

اما الجزء الثانى من الحلم ، فكان تحقيق رغبة فى مغادرة هذه المقصورة . . . وقام الحلم أيضا بتلبية رغبتي ، فاؤجد لى رفيقين شابين أرق من هذين حاشية . . .

ولكن العجيب حقا اتنى وانا في الحلم دهشت لتغير المقصورة ، وحاولت وانا في الحلم ايضا أن اعلل هذا التغيير المفجع فى الاحلام بأننى لا بد قد تركت المقصورة او غيرت العربية وانا نائم

ولا اعتقد انه من المنتج اضافة نماذج اخرى من تلك

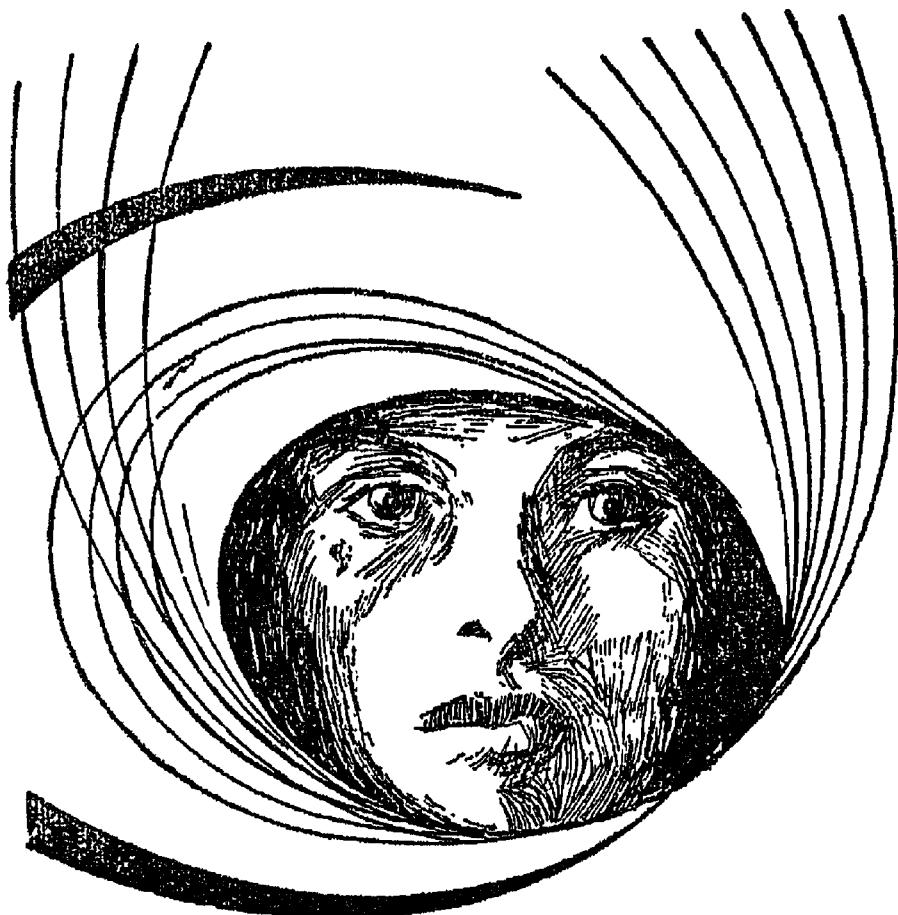
الاحلام ، فلن يؤدى ذلك الا الى تحصيل ما هو حاصل
فعلا ..

ان الاحلام السابقة تكفى للقول بأن الاحكام التي
تصدرها اثناء احلامنا ان هي الا صدى مكمل لجزء من
اجزاء الحلم ، وقد يكون هذا الصدى غير ملائم ، ولكنه
قد يكون كما في المثال الاخير دالا على ذكاء وفطنة حتى
ليصلح ثمرة لنشاط عقلي يقظ مستمر اثناء الحلم
وقد آن الاوان الان للاهتمام بالحالة الانفعالية للعالم
والظاهر الذي تبدو به في الحلم



الفصل السادس

الحالات النفسية في الحاسوب • هاردةً النفسيّة أخرى
لماذا ننسى أمهارينا؟



الحالة الانفعالية في الحلم

ان الحالة الوجданية التي تقترن بالحلم لا يمكن ان يستهان بها حتى عند الذين يستهينون بمعنى الحلم نفسه واصدق تعبير عن ذلك ما قاله « شتريicker » :

— قد تشعر بالخوف الشديد حين تحلم بهجوم اللصوص عليك .. واللصوص وهم ما في ذلك شك ، ولكن خوفك منهم ليس وهما وانما هو خوف حقيقي ما في ذلك شك !

وما يقال من الخوف في الحلم ، يقال كذلك عن السرور .. فما يقترن بالحلم من حالة انفعالية لا يختلف في شيء اطلاقا عن آحوالنا الانفعالية ونحن في اليقظة ..

وعلى هذا الاساس يمكن القول ان مضمون الحلم جدير ان يحتل مكانه بين الحقائق الواقعية بعنصره الوجданى كما هو ، أما عنصره الفكرى فموضع خلاف ، وقصصاوى دعواانا انه يحتاج الى تأويل وتفسير على ضوء منهجه التحليل ..

ولكن الملاحظ اننا في حال اليقظة نربط بين حالتنا الانفعالية وبين المضمن العقلى للأشياء ، ولذلك عندما نستيقظ من حلم مرروع ، ونتأكد من عدم وجود البرد الفكرى للارتباع في عالم الواقع يفرخ في روعنا على الفور ومن العجيب في أمر الاحلام ايضا ان المدلول الفكرى في الحلم لا يقترن حتما لزاما بالاثر الوجданى المعهود في

البيقظة ، فقد نرى في الحلم عزيزا علينا يصاب بمكره ،
ولا نشعر في الحلم لذلك بأى صدى من الأكتئاب ، وقد
ناتى في الحلم عملا لا يكاد أن يعلق به غبار ، بيد أننا نشعر
في الحلم بحرج شديد وخزى ، ونتمنى لو أن الأرض
اشقت فوارتنا عن العيون

ولهذا حق لبعض العلماء أن يقرر أن الأحداث تنفصل في المعلم عن آثارها الانفعالي . . فقد يحدث الانفعال الشديد من غير مبرره ^٦ وقد يحدث المبرر القوى ولا يقع الانفعال الشديد !

وهذا الانفصال بين المضمون الفكري والمضمون الانفعالي هو الذى حدا بنا الى القول - فيما سلف - أن المضمون الفكري يتعرض لعمليات الابدال والالتواء والتعمية بحيث يدل الشيء على ضدّه ، في حين يبقى المضمون الانفعالي من غير تبديل

ما أشبه هذا بدور التخفي والتسلل عن أعين العسس والرقيب ، ففي هذه الحالة تتجه العناية كلها إلى تغيير الشكل والمظهر .. فقد يرتدي الرجل زي امرأة ليفلت من الرقيب ، ولكنه لا يكون بحاجة إلى تغيير ما بقلبه من عواطف أو مطامع أو مخاوف لا يمكن أن تنفذ إليها عين ذلك الرقيب على كل حال !

لشخص آخر أو شيء آخر ينبغي أن أكشف عنه بالتحليل وكذلك الحال حين يحدث العكس .. فإذا لم يقع مني في الحلم ما يستوجب الخزى أو الندم ، بيد أننيأشعر بخزي شديد أو ندم لاذع .. فمعنى هذا أن ما أتيته في الحلم من عمل يبدو بريئا إنما هو قناع زائف للتمويه على الرقيب الشعوري ، وينبغي أن أبحث عما تحت هذا الستار التنكري من رغبة لاشعورية ، أو ذكرى قديمة مكبوتة هي الجديرة باثاره خجل أو ندمي

ولعل من المناسب أن أذكر هنا مثلا طريفا ، هو أول حلم استطعت أن أستدرج حفيدي حين كان في الشهر العشرين من عمره كي يقصه على .. وهو حلم حقق له رغبة ، ولكن الحالة الانفعالية التي كانت حرية بتحقيق هذه الرغبة في اليقظة لازمته في الحلم من غير أن يكون في ظاهر الحلم ما يبررها ..
ففي الليلة السابقة على سفر والده إلى ساحة القتال ، استيقظ حفيدي وهو ينتصب بشدة ويصبح :

— بابا .. بابا .. مع بببي ..
ويعناه طبعا بلغة الطفل أن بابا وبببي (وهو الاسم الذي يطلق على الطفل في الأسرة) سيفقيان معا ، مع أن البكاء يدل على أنه مسلم بقرب سفر أبيه إلى بعيد ..
ونلاحظ أنه كان يعرف منذ شهور كلمة « بعيد » ..
 فهو يلقى من النوافذ بكل ما تصل إليه يده ، ثم يأتيانا فرحا وهو يهتف :

— بعيد .. بعيد ..

ان الرقابة تؤثر على صور الحلم الظاهرة ، ولكنها أقل ما يكون تأثيرا على الحالة الانفعالية .. فالحالة الانفعالية اذن هي التي يمكن أن نسترشد بها في معرفة

الحقائق التي أفسدتها التشويه والتعميم على الرقابة ..
والحقيقة أن الامراض العصبية لها تأثير كبير في تقدم
هذه الدراسة ، لأننا نجد المصاب بالهستيريا مثلاً
يضطرب اضطراباً شديداً أو يوتاع بسبب تفاهات لا تبرر
كل هذا الانفعال العنيف ، والنائم الحالم قد يشعر بمثل
ذلك التفاوت الضخم بين المؤثر والاستجابة ..

ان السبب الحقيقي في الحالتين ، هو ان المؤثر الظاهري
التافه يخفى وراءه السبب الحقيقي في الهياج الانفعالي ،
وهو سبب في الحالتين مكتوب في الاشعور ، لا يستطيع
ان يسفر عن وجده الحقيقي في دائرة الشعور
وتأسيساً على هذا ، ندرك ان الحالة الانفعالية
والمضمون الخفي لا يكونان في الحلم وفي الهستيريا الا شيئاً
واحداً متكاماً ، ومن الحالة الانفعالية ، نستطيع ان نصل
بالتحليل الى المضمون الحقيقي المستتر ..
وسأستخدم أحلاهما نموذجية لتوضيح هذه الفكرة ..

وابداً بحلم احدى مريضاتي :

ـ رأت ثلاثة سباع في صحراء ، وكان اسد منها
يضحك لها .. ولم تشعر بالخوف ، ثم اذا بها بعد
لحظة تجري هاربة ، وتريد أن تتسلق احدى الاشجار ..
ولكنها تجد أن قريبة لها تشتعل معلمة للغة الفرنسية
قد تسلقتها قبلها ..

وبالبحث عن المناسبة المباشرة لهذا الحلم في أحداث
اليوم السابق ، اتضح أنها كتبت في موضوع انشاء
باللغة الانجليزية « أن اللب يزين الاسد » وعرفنا ايضاً
أن إياها ملتح ، وأن حيته الكثة أشبه بلبد الاسد ، وأن
معلمة اللغة الانجليزية لها اسم مشتق من الاسد في ظاهر

النطق ، وأن صديقة لها أهدتها أشعاراً لاديب المانى اسمه من مشتقات اسم الاسد أيضاً .. فمن الراجح أن تكون هذه هي الاسود الثلاثة التي رأتها في منامها ، فاذا كانت هذه حقيقتها فمن الطبيعي اذن الا تشعر بالخوف منها

وبالتحليل أيضاً تعقينا خواطراًها وذكرياتها ، فعلمنا انها كانت قد قرأت منذ مدة وجيزة رواية تاريخية عن العبيد في عهد روما ، وكيف أن أحدهم تمرد وحاول الهرب فأطلقوا في أعقابه كلاب الصيد الضاربة ، فلم ينقدر منها الا تسليق أول شجرة وجدتها في طريقه .. ! وتذكرت الحالة أيضاً قصة فاكاهية عن التملق والمحسوبية ، فقد سئل موظف لماذا لا يتقرب الى رؤسائه كي يحظى بالترقية ، فأجاب قائلاً :

ـ وما حيلتي ؟ ان الباب الخلفي هو الذي يوصل الى الرؤساء .. وقد حاولت ذلك مرة ، ولكنني وجدت رئيسى المباشر قد سبقنى الى هناك !

واما المثال الثاني ، ففيه عود الى تلك الشابة التي ذكرت في فصل سابق انها حلمت بوحيد اختها مسجى في نعشها ، ولم تشعر بحزن عليه .. فقد دلنا التحليل على ان ذلك الموت انما كان ستاراً غير حقيقي يخفى رغبتها في ان ترى حبيبها الذى انقطعت بينها وبينه الاسباب ، وكان من المحتم ان تشعر في الحلم بحالة انفعالية تتفق والحقيقة скامنة ، ولا شأن لها بالظاهر التناكري الذى لا علاقة له اطلاقاً بالموقف الانفعالي ، ولذا لم تشعر بالحزن اطلاقاً

وهناك حالات يبدو فيها انفصال الحالة الوجدانية

عن المضمون الخفي للحلم أكثر تعقيداً، ونجد عمليات الابدال على أشدّها، وسأسوق حلماً من أحلامي للتدليل على ذلك :

رأيت في المنام شاطئ البحر أمامي وعليه قلعة ..
ثم أتبين أن القلعة ليست على شاطئ البحر بالضبط، وإنما هي مقامة على قناة صغيرة تفضي إلى البحر، وحاكم القلعة هو « ب »، أراني واقفاً معه في بهو كبير للاستقبال فيه ثلاث نوافذ أرى منها أمامي مشربيات مقطأة كذلك التي يطلق منها القناصة النار عندما تهاصر القلاع، وكنت أعلم – وأنا في الحلم – أنني متطوع بدرجة ضابط بحري أو ما أشبه ذلك، وأنا في القلعة متوقع هجوم بوارج الأعداء لأننا في حرب، والحاكم « ب » على أبهة مغادرة القلعة، وهو يزودني بالتعليمات إذا حدث الهجوم في غيابه، وزوجة « ب » تلازم القلعة لمرضها ومعها أطفالها، والتعليمات تقضي إذا بدأ الهجوم أن يخلّي فهو الكبير في الحال، يزفر « ب » بشدة ويوليني ظهره لينصرف، فأشبّث به واستفسره عن كيفية الاتصال به عند اللزوم، فيرد رداً مبهمًا ويقع ميتاً، وادرك أنني أرهقته بالأسئلة ولكني لا أشعر بأى أسى لموته، وأسأل نفسي هل من المحتم أن تظل أرملته هي وأولادها بالقلعة؟ وأليس من الواجب أن أخطر القيادة العليا، واتولى قيادة القلعة باعتباري الضابط الذي يليه في الرتبة؟، ووقفت أمام أحدى النوافذ أراقب مرور السفن التجارية السريعة، وهي تمخر عباب الماء بمعاشرها الطويلة أحياناً، وبالسطوح مائدة مثل المخازن والمحطات أحياناً أخرى، ويظهر أخرى بجانبي، وينظر معى إلى القناة .. يفزعنا ظهور سفينة معينة ونصيح معاً في صوت واحد : ها هي البارجة! .. ثم نتبين أنها مثل باقى السفن العائدة،

وتقترب بعد ذلك سفينة صغيرة شكلها مضحك وعلى ظهرها أشياء تشبه الفنانيين والعلب ، فأهلت أنا وأخي في صوت واحد أيضا : ها هي سفينة الأفطار ..

ولا شك في أن مناظر الماء والمداخن والسفن السريعة إنما هي صور منقولة عن ذكريات أسفارى الشخصية في بحر الأدریاتيك ، وكان الكثير من هذه الصور واضحا جداً في ذهني لاتى قمت قبل الحلم بأسابيع قليلة باحدى تلك الرحلات في صحبة شقيقى ..

وفي الفترة التي حدث فيها الحلم كانت هناك مناورات بحرية بين الولايات المتحدة وأسبانيا ، أثارت قلق الأسرة على بعض أقاربنا المقيمين في أمريكا ..

وأما الحالات الانفعالية في الحلم فأمرها أكثر تعقيداً ، فقد تخلفت حالة انفعالية معينة عن الظهور .. وكان المفروض أن تظهر عند وفاة حاكم القلعة ، أما عندما توهمت ظهور سفينة حربية فقد حدث الفزع ..

ويبدو لأول وهلة أن وفاة الحاكم لا تستدعي حزناً شديداً ، كما أن ظهور السفينة يستدعي الأضطراب والقلق ، ولكن المثير في المسألة أن الحاكم في الحلم لم يكن شخصاً آخر سوى أنا !

ان حاكم القلعة في هذا الحلم هو بديل أنا ، لأننى كنت قلقاً في تلك الفترة على ما ستصرير إليه أرملى وأطفالى اذا مت في سن مبكرة ، وهى فكرة ليست جديرة يأن تحزننى ، وإنما هي جديرة بأن تقلقنى وتغزعنى ، ولكن الحلم فصل انفعال الفزع من لحظة الموت الى لحظة ظهور البارجة الزعومة ..

واما منظر ظهور السفينة الحربية ، فمصدره مصدر حقيقى لم يكن مقتربنا بالفرع .. بل على العكس كان مقتربنا بالسرور ، فقبل هذا الحلم بسنة تقريباً ، كنت

مع زوجتي وأولادى في رحلة بمدينة البندقية ، وكان
اليوم صافيا بديعا .. ووقفنا في الشرفة المطلة على
القناة المؤدية إلى البحيرة الكبيرة ، وكان نشاط الناس
في هذا اليوم أكثر من العتاد لأنه كان من المقرر أن تزور
مدينة البندقية بعض البارج الإنجليزية ..
وفجأة هتفت زوجتي في جمل الأطفال :
— ها هي البارجة الإنجليزية ! ..

ولتكن الحلم نقل إلى هذا المنظر البهيج حالة الفزع ..
وهو دليل على أن الحلم يقوم بعمليات إبدال شديدة ،
يفصل فيها الحالات الوجدانية عن المواقف الظاهرة ..
أما موضوع ما سميت به في الحلم سفينة الأفطار ، فاني
عندما أتمعن في هذا الجزء اتذكر أن لون هذه السفينة
المضحكة كان أسود قاتما ، وأن شكلها المضحك يشبه
الصوانى الاثيرية السوداء اللون التي رأيتها في رحلاتي ،
وكان نسبتها تحمل فناجين للقهوة أو للشاي ، لشدة
شبه هذه الأشياء بأدوات الأفطار في عصرنا الحديث ،
ولكن الدليل أخبرنا أنها أدوات للزينة التي كانت
تستخدم في ذلك العهد الصحيح

وعلى هذا الأساس ، تكون السفينة السوداء التي
ظهرت بهذا الشكل هي أدوات زينة سوداء اللون ، أو
عبارة أخرى الزينة التي تستخدم في المداد — أو المداد
عموما — وهذا أيضا مرتبط بفكرة الموت ..

ومن جهة أخرى ترمز هذه السفينة السوداء إلى
السفن الجنائزية التي توجد في الأساطير لحمل الجثث إلى
وادي العدم .. ولكن هذا أيضا له مصدر من الواقع ،
ففي بعض رحلاتنا لم يعجبنا الطعام الذي يقدم على
سفينة ، فاشترينا من البر أطعمة وأتبذلة وتمتنعنا

بافطار ممتاز على ظهر المركب شهدنا اتنا قلما تمتنا
بمثله

وأستميح القارئ في أن أذكر نموذجا آخر من أحلامي
لابد أن يملأ ظاهره التصويري نفس القارئ بالاشمئزاز
الشديد ، ولو لا أن هذا الحلم ثمين جدا من حيث اقامة
البرهان على التناقض الشديد بين المضمون الوجداني
والصور الظاهرة في الحلم لما سمحت لنفسي أن أتمسك
بتسلسله هنا ، واليك الحلم :

— رأيت ربوة فوقها دورة مياه في العراء ، وهي عبارة
عن مقعد مفرط في الطول .. وفي نهايته فجوة كبيرة ،
والماء الخلفية منه عليها طبقات من البراز المتفاوت
الأشكال بعضه حاف وبعضه لين ، ومن خلف ذلك المقعد
مجموعة أشجار . أبداً أنا في التبول على ذلك المقعد فإذا
فيضان من البول يكتسح كل هذه الاقدار فتسقط في
الفوهه الا بجانبها سيرا منها ، ولم أشعر أثناء ذلك بأى
تقزز مما أرى أو أفعل ! ..

والسؤال الهام هو لماذا لم أشعر بالتقزز ؟

ومن هذا السؤال بدأ التحليل .. واتضح أن الحقائق
الكامنة لذلك الحلم ليس فيها — رغم ظاهرها القبيح —
ما يدعوا إلى الاشمئزاز ، بل ما يدعوا إلى السرور والزهو
أن هذه الكميات من البراز إنما هي إشارة إلى ما
ورد في الأساطير اليونانية عن ثراء « أوفياس » حتى
ليقال إن مواثيقه تكدرت نفاثاتها في المظاائر المترامية
بحيث عجز الناس عن تنظيفها .. ولم يقدر على ذلك
 سوى سليل الآلهة « هرقل » !

وفي الحلم كنت أنا « هرقل » .. أما الربوة العالية

التي في قمتها الاشجار فهى المكان الذى كان يصطاف فيه افراد اسرتى عند ما رأيت ذلك الحلم ، واما المقد الطويل فما اشبهه بقطعة اثرية نفيسة أهدتني اياها احدى مريضاتى اعراها عن امتنانها لجهودى .. وفي ذلك اشارة الى ما احاط به من التقدير والتكرير نظير جهودى بل ان دورة المياه المقاومة فوق ربوة في العراء مصدرها الواقعى تلك المراحيف العامة التى يقيمها الايطاليون بهذا الشكل في ضواحي بلادهم الصغيرة ، و كنت أحافظ لايطاليا دائمًا بأحسن الذكرى وأتوق لزيارتها في كل وقت ..

واما الطوفان الجبار من البول الذى يكتسح كل شئ ، فهو تعبير عن منتهى العظمة والقوة .. فبهذه الوسيلة اطفأ « جاليفر » حريقا هائلا شب في بلاد الاوزام ، بل ان « جارجنتوا » العملاق الخرافى قد انتقم من اهل باريس في رواية « ربليه » العظيم بأن صعد فوق كاتدرائية النوتردام وأطلق خرطوما من البول على المدينة وأهلهما والذكر بهذه المناسبة اتنى عشية الحلم بالذات كنت القيت بعد ظهره محاضرة لي عن علاقة « المستيريا » الى هذا اتنى كلما ذهبت الى باريس كنت أتحين الفرص لزيارة كاتدرائية نوتردام وقضاء ساعة بين تماثيلها العجيبة

والى يوم السابق لهذا الحلم كان يوما حارا جدا .. وقد القيت بعد ظهره محاضرة لي عن علاقة « المستيريا » بالاضطرابات الجنسية ، ولم اكن راضيا على الاطلاق عما قلته ، لأنى كنت في حالة اعياء بحيث خيل الى ان كلامى كله في تلك المحاضرة كان متداعيا خاليا من القيمة ، وتمنيت لو استطعت التخلص من التنقيب في مصائب الناس ومتابعيهم وتقائهم كى اقيم مع الطفالي في

مصيفهم الجميل ببرهة أخف بعدها إلى ربع إيطاليا
الساحرة

خرجت وأنا بهذا المزاج المنقبض من محاضرتى ،
وتوجهت إلى مقهى اتناول فيه ما تيسر من الطعام ...
والواقع أن مزاجي لم يسمح لي بالاقبال على وجبتي
بشهية

ورأني في ذلك المقهى أحشد من حضروا المحاضرة ،
فأقبل في حماسة — وعلى استحياء — واستاذنى أن
يجلس إلى مائدةى وأنا أشرب القهوة ، ثم أخذ يصب على
الثناء الشديد ، ويؤكد لي أنى اكتسبت ما كان في عقله
من رواسب الماضي المتعفنة ، وأنى من أعظم الرجال في
العالم .. فهو بفضل ينظر إلى الأمور بنظرة جديدة
تماما ..

وليس أدل على سوء مزاجي في تلك الليلة من أن
ذلك الثناء — المستطاب عادة — أثار عندي الضيق
والتقزز ، وسرعان ما تخلصت من هذا الشخص وذهبت
فورا إلى منزلى » ، وسليت نفسي بتصفح تلك الصفحة
المصورة من كتاب « ريليه » الخالد ..

ومن هنا نفذت إلى الحلم أفكار ، الفرض منها تحقيق
رغبة العزاء لى عن الشعور بالفشل والخيبة في محاضرتى
بتقديم صور أسطورية ترضى « بارأنويا » العظمة المسرفة
بأكثر من وسيلة .. وامعانا في هذا التعويض ، حدث
أبدال قوى ، فشعرت بالزهو ووسط كل المظاهر التي
تدعوا إلى التقزز

وأروى نموذجا آخر رواه بعض المؤلفين عن زوجة
إيقظت — وهي منزعجة — زوجها المسن لأنه كان وهو نائم

يُقْهَّقَة قَهْقَهَة عَالِيَّة ، وَرَوَى الرَّجُل الْحَلْم التَّالِي :

— رأيتني راقداً في فراشي ، والى جواري زوجتي ، عندما دخل رجل أعرفه ، وحاولت أن أوقد النور ، ولكن الزر استعصى علىي ، وأعدت المحاولة بغير طائل فقمت زوجتي وحاولت ولكن بدون فائدة أيضاً .. وأخيراً عادت مسرعة إلى الفراش لخجلها من قيابها غير الملائمة أمام الضيف ، وقد جعلني هذا كله أضحك ضحكاً عالياً ، وأخذت زوجتي في الحلم تسألني لماذا أضحك فلا يزيدني سؤالها إلا مزيداً في الضحك إلى أن ايقظتني .. وفي النهار التالي كنت أشعر بانقباض والمن في الرأس مما جعلني أرجح أن هذا الضحك الكبير قد أرهقني

والواقع أن مضمون الحلم ليس فيه ما يبيح القلب ، فالرجل المعروف الذي دخل الحجرة هو رمز الموت ، وكان العالم المصاب بتصلب الشريين قد فكر كثيراً في اليوم السابق في أمر الموت ، وقام الحلم بقتل الانفعال من الحزن والغم إلى القهقة ، وأما النور الذي عجز عن إيقاده فهو شعلة الحياة

والمحاولات الفاشلة تعبير عما حاوله ذلك الحال قبل النوم من مضاجعة زوجته ، فباءت محاولاته بالفشل رغم أنها حاولت أن تساعدته في ذلك الأمر وهي نصف عارية مما جعله قبل أن ينام مباشرة يحسن أن شمس حياته قد جنحت للمغيب .. فجاء الحلم وقلب هذا الإحساس بالاسي والنكد إلى الجانب المضحك

حالات انفعالية أخرى

ومن الاحلام ما يستحق أن يفرد له باب تخلت عنوان احلام النفاق ، وكان أول ما لفت نظرى الى هذا النوع من الاحلام ، هو حلم أتت به الزميلة الدكتورة « هيلفر دينج » كى ندرسها في جمعيتنا العلمية للتحليل النفسي ، وصاحب الحلم مؤلف نمسوى أورد حلمه ذاك في قصة له :

— أن نومى في الغالب عميق ، ولكنه في كثير من الاحيان غير مريح ! .. لأن أحشاج متاعبى قبل أن أضيع قلوبى على سلم الادب ظلت تلاحقنى سنوات طويلة ، واست أعني بهذا اتنى كنت أقضى ساعات النهار مفكراً في ذلك الماضي ، والاحلام التي كنت أراها في الليل لم تكون لتشغل بالى كثيرا .. ولكن بعد ان دخلت في زمرة أهل الثقافة صرت اراجع كل شيء وأعمل فيه الفكر ، وصرت أضيق أنا المطلع الطموح بحرفتى حينذاك اوهى صانع في دكان خياط ثياب .. فأتحسن على وضعى هذا وعلى ما يضيع سدى من وقتى ، وكم حدثتني نفسى أن أهجر هذه الحرفة المقيرة ، وأمضى في طلب عظام الامور ، وكانت في الليل أحلم أيضاً بأنى أحاول التخلص من وضعى المذل ، بل وكانت أحياناً أفلح في ذلك .. إلا أن صاحب الورشة كان لا يهتم لما أصنع ويتجاهل تصرفاتى فأجدنى من جديد الزم جواره وأعكف على الحباكة والكى .. حتى اذا استيقظت شعرت بالراحة

من جو ذلك الحلم الثقيل ، وأصمم اذا تراءى لى حلم من هذا النوع الا ادع نفسى اشعر بالكرب ، وأن اذكر ان الحلم وهم واننى مستريح بين اغطية فراشى ، ولكن ما ان يأتى اليوم التالى حتى يعاودنى الحلم ، واجد نفسى مرة أخرى مكروبا بالعمل فى محل الخياط ، وقد استمر هذا الحلم يعاودنى سنتين طويلة وبثبات مدحشة .. ثم حلمت اتنى مع معلمى فى بيت فلاج معين ذهينا اليه منذ سنوات فى أول التحاقى بالمهنة ، ورأيت فى الحلم أيضا أن المعلم متائف من طريقتى فى الحياكة أكثر من العادة ، حتى انه سأله متى كما أين دماغى ونظر الى نظرة شلراء .. فخطر لى أن أنساب ما أفعله هو أن أقف وأصارحه اتنى سوف لا أبقى معه ما دام غير راض عنى ، ثم اتركه وأنصرف .. بيد اتنى لم أفعل شيئا من هذا القبيل ، والأدهى من ذلك أن المعلم نادى صانعا آخر وأمرنى أن أتخلى له عن مقعدي .. فانصوت ملائكتي وذهبت الى الركن فانكمشت فيه وانصرفت الى مواصلة الحياكة ، وبعد قليل الحق معلمى بالعمل صانعا جديدا ذا وجه تنكري ، وهو بعينه ذلك الفجرى الذى الحقه بخدمته قبل ١٩ سنة وسقط في النهر وهو عائد ، ووقف الصانع الجديد ينظر في المكان مفتشا عن موضوع له ، ونظرت أنا من الركن الى المعلم مستفسرا ، فقال لى :
— انت لا تصلح لهنة الحياكة ، وفي وسعك أن ترحل ..
انت مطرود ! .. فاستولى على ذعر شديد كان كافيا لايقاظي من نومي .. ووجدت ضوء المصباح ينفلد من الستائر الى حجرتى المعهودة ومن حولى تحفى الفنية ، فهسا هي دوالib كتبى الراخرا باعمال هوميروس ، ودانى ، وشـكـسـپـير ، وجوته ... وكلهم من أعاظم الخالدين ، ومن الحجرة الأخرى تصل الى سمعى أصوات

نديه على القلب ، هي أصوات أطفالى يلهون مع والدتهم يعايشونها وتعابثهم ، وكل شيء يشير الى أنه لم تعد حياتي الحاضرة صلة بتلك السنوات المكرودة ، سنوات عملى في دكان الخياط ، ومع ذلك شعرت بالفيض لأنى لم أكن أنا الذى استقلت من تلقاء نفسي في الحلم ، بل تراخت وتركت الفرصة لذلك المعلم الفظ كى يطردني شر طردة .. ولكن الأعجب من ذلك أنى بعد تلك الليلة المزعجة التى حلمت فيها أن الخياط طردنى من خدمته شعرت بالراحة ، فلم يعاودنى الحلم بأيام حرفى القديمة .. تلك الأيام التى أبادر هنا احقاها للحق ، فأقول إنها كانت رخية خالية من المسؤوليات .. ييد أنها ظلت تطاردنى في المرحلة التالية من حياتى ، وتنشر الاضطراب والكدر في منامي

ووجه الصعوبة في هذا الحلم أنك لا تستطيع أن تحدد بسهولة موضع الرغبة التى تتحققها تلك الصور «الحلمية» المتكررة وهى تلاحق أديبا ناجحا بدأ حياته صغيرا في محل خياط ، فان مجده متتحقق فعلا في حاضره الواقعى .. فكيف نسمى هذا الكرب الذى يطارده في المنام تحقيق رغبة؟

ولكنى استطعت بالرجوع الى تجربتى الشخصية ان أتبين سر هذا النوع من الاحلام ، لأنى رأيت أحلاما من هذا القبيل .. فقد سبق لي أن عملت فترة طويلة في بداية اشتغالى بالطب فى معمل كيماوي ، فلم أظهر اى تفوق وظللت خاما ضئيل القدر ، الى ان تركت ذلك العمل العقيم ، ولذا اتجنب التفكير ، وأنا يقطن ، في تلك المرحلة من عمري التى لا تليق بحياتى العلمية ، ولكننى كثيرا ما كنت أحلم أنى أشتغل فى ذلك المعمل وأقوم بالتحليلات بطريقة غير مرضية ، وأشعر بالمضاضة ،

واقوم من النوم وأنا متائف فقيد الصبر ..

وبعد تفكير في الامر ، لفت نظرى أن تلك الاحلام تأتينى دائمًا بحيث أرى نفسي أقوم بتحليلات .. فكانت كلمة « تحليل » هي كلمة السر ، وكتابها تشير الى انى اشتغل الان أيضًا بالتحليل ، وأصل فيه الى نجاح كبير، واظهر بالتكريم والتقدير .. ولكن التحليلات اليوم هي التحليلات النفسية ..

فكان أحلامي تلك تأتي جوابا على ما يخامرني من الزهو لنجاحي في التحليل النفسي ، فتذكرنى في منامي بتلك التحليلات التي فشلت فيها في مقتبل عمري .. وهكذا يكون الحلم نوعا من العقاب على الزهو وتذكير للمختال بنجاحه الطريف بأن له ماضيا لا يشرفه كثيرا ، فأولى به ثم أولى أن يتواضع قليلا .. وهذا هو ما حدث للأديب الشهور ، فحطمه يذكره بما كان من أمره في صدر شبابه اذ عمل صبيا في محل خياط ..

ولكن المشكلة هي لماذا يسمح الحلم للنقد المؤلم أن يظهر بهذه الصورة ؟ وهل يمكن أن يسمى هذا التبكيت نوعا من تحقيق الرغبة ؟ ..

كى نفهم مثل هذا الحلم المشكك ، علينا أن نتذكر أن نقوسنا تحتوى على نزعات « ماسوكية » وربما أدت إلى مثل هذا التعذيب ، فان « الماسوكية » هي التلذذ بتعديب الذات ، ولذلك قد يفرد البعض لهذا النوع من الأحلام عنوانا يختلف عن تحقيق الرغبة ، فيسمونها أحلام العقاب ، وان كنت أنا شخصيا لا أرى تناقضًا بين الاسمين .. لأننى اعتقاد أن الشيء وضده يلتقيان بكل سهولة ويسر ، ففى عالم النفس الإنسانية لا وجود لصفة مطلقة

وبهذه المناسبة أذكر أني رأيت نفسي في أحد تلك الاحلام «التيكية» شابا سدت في وجهه أبواب العمل، ولا اعرف كيف أحصل على الرزق .. ولكنني في الوقت نفسه حلمت أني أعزب والفتيات تتمين أن اختصار أحدهن زوجة لي، وكان من بين الفتيات زوجتي الحالية وقد أرتدت شابة، وهذا يشي بالباعث على ذلك الحلم، وهو الباعث الذي يخامر كل رجل انتقضت فترة شبابه، فهو يتمنى لو عاد الى صباه وصادفته نفس المتعاب، وليس من النادر أن يقول من في مثل حالى وسني :

— الحمد لله .. فكل شيء اليوم على خير ما يرام ، لقد أنهينا من مجابهة الصعب والكافح الشاق ، ولكن ما كان أجمل أيام ذلك الكفاح حين كان المرء شابا

وليس من النادر أن يرى الانسان في الحلم نفسه ، وقد تصافى مع من خاصهم منذ سنوات وراجع حبل الود ، وهذا أيضا يندرج تحت أحلام النفاق ، ولكنني أرى ذلك من الأمور المألوفة التي لا تثير مشكلة ، وأفضل أن أعود الى الحلم الاغرب الذي رأيت فيه الشيخ «بروكيه» يكلفكني بأن الجهر للتشريح حوضي وساقي ..

وأذكر أني في هذا الحلم لمأشعر بالدهشة ولا الالم ولا الارتياع ، وأذكر الآن أن الحلم كان يرمي الى تحقيق رغبة .. لأنني كنت مهتما بإجراء مهمة عسيرة جدا هي أن أحلل نفسي بنفسي توطئة لنشر كتابي هذا ، وكان قيامي بتلك العملية باصرار ، يسبب لي آلاماً ومضائقات كثيرة حتى أني أرجأت أكثر من مرة نشر النسخة الاولى من كتابي هذا بعد أن فرقت منه ..

ولكنى كنت أقاوم عواطفى وأمضى فى عملى ، ولذا لم
أشعر فى الحلم بالارتياح أو الفزع
وهذا حرى أن يسوقنا إلى القول بأن الحالات الوجدانية
في الحلم ربما صدرت عن رغبة لا شعورية مكتومة أو عن
دافع أخلاقي ، فان كل مصدر قادر على توليد الانفعال
في الحياة العادلة فهو صالح أيضاً لتوليد الانفعال أثناء
النوم ..

وأحب أن أتبه هنا إلى أن تفسير الإنسان لاحلامه
ليس بالعمل الهين ، بل يحتاج إلى حزم ونزاهة شديدتين
.. فقد يصل الإنسان من تفسير حلمه إلى أنه في بعض
مواقف الحلم كان منحطاً أناانياً خسيس الخلق والطبع



لماذا ننسى أحلامنا؟

هناك حلم روتة لي أحدي مريضاتي ، ولست أعرف بالضبط من الذي رأى هذا الحلم .. لأن مريضتي سمعته من السنة البعض، بيد أن هذا الحلم أثار اهتمامي ، ولهذا أرى من المناسب أن أرويه في هذا المقام :

— مرض ابن أحد الاشخاص فلزم الاب فراش وحيده لا يرحة أياما طويلا ، الى أن مات الطفل .. وكان الاعباء قد نال من الاب ، فحضر رجلا مسنا كى يسهر بجوار الجثمان — كما هي التقاليد — بعد ان أضيئت من حوله الشموع ، وتعهد الرجل المسن أن يظل ساهرا طوال الليل يردد الادعية ، وانتقل الاب الى حجرته التي يصل بينها وبين حجرة المتوفى بباب مفتوح ، ورقد على فراشه التماسا لشيء من الراحة ، وفي وسعة اذا فتح عينيه أن يرى ما يجرى في الحجرة الأخرى ، وغلب النعاس الاب ، فنام قليلا ورأى في منامه ابنه المتوفى واقفا أمامه يهز ذراعه ويقول له :

— الا ترى يا أبي أنى احترق ؟ .. واستيقظ الاب ملعمورا ، فوجد النار مندلعة في الحجرة الأخرى ... فأسرع الى هناك ليجد الرجل المسن قد غلبه النوم ، وامتدت النار من أحدي الشموع فاندلعت في غطاء الفراش ، واشتعلت في أحد ذراعي الجثة وفي اعتقادى أن النار التي اندلعت قد نفذت بوهجها

الى شبکية عین الاب وهو نائم ، فصور له الحلم ما حدث بهذه الصورة الخيالية .. بل واعتقد ايضاً أن العبارة التي نطق بها الابن في الحلم لابد أن تكون مستمدة من احدى عبارات الطفل الحقيقية في موقف آخر ..
ولكن لماذا صور الحلم عملية اشتعال النار بهذه الصورة بالذات ؟ ..

انها سياسة تحقيق الرغبة مرة أخرى .. فهذا الحلم يحقق أمنية للحالم ، مؤداها أن ابنه لم ينزل على قيد الحياة ..

ولا يمكن أن يغفل في دراسة الاحلام جانبا هاما جدا ، هو أننا ننسى القسم الأكبر من احلامنا بمجرد اليقظة .. وحتى الاحلام التي نذكرها عند اليقظة تظل تتناقض في الوضوح شيئاً فشيئاً مع تقدم ساعات النهار ..
لماذا ننسى احلامنا ؟ ..

ان الجزء الذي نذكره من احلامنا هزيل ضئيل في الغالب ، وعلى هذا الجزء دون غيره ، نصبه قدرتنا على التفسير .. وليس ما يضمن لنا أن ذاكرتنا لم تخدمنا ، أو أنه مفكك كما تخيل اليينا ، فما الذي يدرينا أن الحلم لم يكن أكثر تكاملاً وخيالياً من الشفرة ؟ .. بل ما الذي يدرينا أن العقل ، وهو يروي الحلم ، لم يحاول ملء هذه الشفرات بمعلومات جديدة لم يكن لها في الحلم أثر ، لأن العقل ينكر الفراغ ويحاول أن يجمع الشتات في كل موتلف ؟ فان من المؤلفين من يعتقدون أن الحلم يرد على أذهاننا مفككا ، وأن جميع الروابط إنما هي من فعل الذهن الوعي ..

كل هذه مسائل جديرة بالاعتبار الدقيق لأنها تؤثر

تأثيراً بعيداً في قيمة الموضوع الذي ندرسه ، ونستطيع اذا راجعنا كل تحليل قمنا به بحل من الاحلام ان نجد تفاصيل صغيرة لها أهمية كبيرة في الوصول الى المضمن الخفي للحلم ، وانه لو لا هذه التفاصيل الصغيرة لما وصلنا الى شيء اطلاقاً

انني أعتقد ان العوامل التي تسبب في نسيان جزء من اجزاء الحلم عند تسجيله ، فور اليقظة ، انما هي عوامل إيجذيره بالدراسة النفسية ، وقد يكون لها تأثير في الحلم ومضمونه أهم بكثير من تأثير العناصر التي لم يطرأ عليها النسيان

وقد استفدت من استغلال هذه الناحية فوائد ذات بال ، فانني حين أجد الحلم الذي سجله مريضي ، او املأه على ، فامض في بعض الموضع اطلب من المريض ان يعيد روایته ، وسأجد أنه ينسى بعض الموضع او لا يهتم بها ، فأعتبر هذه الموضع ذات أهمية خاصة لأنها تكون أكثر تعرضاً للرقابة .. وكان الحال يحس أن هذه الموضع بالذات يمكن فيها خطر افتضاح سره ، فيعمد الى مواراتها عن عين محلل او بصيرته .. فأتثبت أنا بهذه الموضع ، وأعتبرها بداية الخطيط المفضي الى السر

ولا أطبق هذه القاعدة على الموضع النسبي فحسب ، بل على كل موضع أجده أن الحال عند الاعادة يرويه بعبارة أكثر غموضاً ، وكأنه يرمي الى الابهام والتعميم .. وعلى قدر المجهود الذي يبذل للتضليل ادرك أهمية الوطن بالنسبة للسر

واما تخوف بعض المؤلفين من الاعتماد على الذاكرة فيما يختص بالاحلام ، فهو في رأيي أمر مبالغ فيه .. فذاكرتنا اليوم على العموم ليس هناك ما يضمن صوابها سواء وهي تروي ما يحدث في الحلم او ما يحدث في

البيضة ، ولكننا بفطرتنا نعتمد على الذاكرة ولا نجد في ذلك حرجا ..

وإذا كنا نرتاب أحياناً في أن تكون رواية الذاكرة للحلم محرفة ، فهذا الارتياح بدوره مرجعه إلى الدور الذي تقوم به الرقابة الشعرورية بالنسبة للأحلام .. فهذه الرقابة تمنع ما تستطيع منعه من مادة اللاشعور حتى لا يطفو إلى دائرة الشعور ، وما ينفي من رقابتها ويفلت - ولو متكتراً - تحاول الرقابة أن تتحجّزه من الذاكرة ، وبهذا يكون النسيان ، أو التغيير عند التذكر ، عملية مشابهة لعملية التشويه نفسها

وينبئ على هذا أن الموضع الذي يطفى عليه النسيان - عند إعادة الرواية - إنما يكون عنصراً وثيق الصلة بالمضمون الخفي أو المادة المتنوعة ..

ان أحدي قواعد التحليل النفسي الأساسية هي أن كل مقاومة نتيجة فكرة ممنوعة مستترة في اللاشعور يحاول الرقيب أن يقيها مستترة ، وليس من الضروري أن تكون هذه المقاومة سافرة ، بل ان كل ما من شأنه أن يعطل التحليل أو يضللها يجب أن يعتبر نوعاً من أنواع المقاومة ..

ونسيان الأحلام - بجميع درجاته - إنما هو من قبيل التعطيل أو التضليل أي المقاومة ، وهذا النسيان مسألة غير مفهومة ، ما لم نربط بينه وبين الرقابة الشعرورية ، ومن أقوى الدلائل على ذلك أن الشابرة على التحليل تؤدي في الغالب إلى تذكر ما يخيل اليها إنما نسيناه من أجزاء الحلم ، وذلك عمل لا انكر أنه شاق ، ويحتاج إلى مهارة ودراسة وصبر ..
ولعل من المناسب أن أروي هنا حلماً أوردته في كتاب

آخر من كتبى ، فقد أمكن تفسير هذا الحلم رغم ما يكتنفه من غموض بسبب النسيان :

— كنت أعالج مريضة كثيرة الخثر والشكوك ، واتفق لها أن حلمت حلما طويلا لم تذكر منه إلا أن شخصا ما حدثها عن كتابي في الفكاهة وقرظه تقريرا شديدا ، ثم عرض الحلم لموضوع « قناة » .. لم تتبين بالضبط أي « قناة » هي ، ولكن يبدو أن ذكرها جاء في كتاب آخر من كتبى تعرض له الحلم ، بيد أنها ليست متأكدة لأن الموضوع كان يكتنفه الغموض ..

وكان المنتظر الا يسفر موضوع هذه « القناة » المبهمة عن أي تفسير ، لأنها منقطعة الصلة بحقيقة أجزاء الحلم ، والحقيقة أن المهمة صعبة ، ومصدر الصعوبة أن ذهن المريضة خال من أي شيء فيما يتعلق بموضوع القنوات ، وأنقضى يوم ، وفي الجلسة التالية قالت لى المريضة أنها استطاعت أن تتذكر شيئا له علاقة بالقنوات ، وهو نادر أنها قد رويت على مسمع منها ، فقد قيل أن سفينة كانت تعمل على الخط عبر القanal الانجليزى أو بحر المانش فيما بين دوفر وكاليه .. وعلى سطح هذه السفينة التقى أديبه مشهور مع مسافر انجليزى ، واثناء الحديث قال المؤلف نكتة ستفاد منها أن فرنسا رائعة وأن إنجلترا سخيفة ومبتدلة ، وأن الفارق بين الروعة والابتذال مجرد قناة !

وربما خيل للبعض أن ذكر القناة في هذا السياق لا يفيد في التفسير ، ولكنى بالعكس أراه بداية خطير مفيد للغاية ، ومن هذه البداية ، بدأت أفتتح عن المضمون ألكامن لحلم تلك السيدة ..

وكثيرا ما يحدث أن نشرع في التحليل والتفسير ، وإذا

بالحالم في منتصف الطريق يستوقفنا وقد انبثق في ذهنه فجأة جزء من حلم كان قد نسيه في البداية ، ويتضح فيما بعد أنه كان من صميم لباب الحلم .. ولذا أنصبت عليه مقاومة أشد مما انصب على بقية الأجزاء ..

وكثيراً ما من بي في خبرتى ما يثبت أن نسيان الأحلام مرتبط بقوة المقاومة الشعورية ، ومثال ذلك أن يقول لى المريض :

— لقد رأيت بالأمس حلماً يسئلني أني نسيته تماماً النسيان .. وليس في ذهني منه أي أثر ..

ومعنى هذا أنه في موقف كمن لم ير ذلك الحلم أطلاقاً ، فأترك موضوع الحلم وأمضى معه في التحليل بعيداً عنه .. فأجد منه مقاومة في بعض المواضع فأشجعه كي يتغلب على تلك المقاومة ، وما أن يفلح في ذلك حتى يهتف :

— وهأنذا أيضاً قد تذكرت الآن حلمي !

ومعنى هذا أن نفس المقاومة التي أنسنته الحلم هي التي عرقلت التحليل منذ قليل ، فلما فهر هذه المقاومة بالنسبة للتحليل انهارت أيضاً بالنسبة للحلم ، فتلذكه بوضوح

وليس من النادر أيضاً أن استمر في جلسات التحليل مع أحد الأشخاص .. ومتى أحرزت معه شيئاً من التقدم ، تذكر فجأة حلماً رأه قبل أيام وكان قد نسيه فور استيقاظه تماماً النسيان ..

بل كثيراً ما يحدث أن أرى حلماً في الليل ، فأستيقظ في منتصف الليل وأنا أذكر الحلم تماماً ، وأحرص على أنام ثانية قبل أن أفسر الحلم تفسيراً كاملاً ، وأوفق إلى ذلك فعلاً ، ثم أنام ثانية .. وإذا بي أستيقظ في الصباح،

فأجد أنني نسيت الحلم تمام النسيان ونسيت معه التفسير الذي فسرته ، ولا أذكر سوى أنني رأيت حلما ، وإنني قمت بتفسير ذلك الحلم ، هذا مع أن ما بذاته من نشاط ذهني في التفسير ليس جزءا من النام بحيث نستهين بدلالة نسيانه ، كما يؤثر بعض المؤلفين أن يفعلوا



الفصل السابع

أسلوب تحقيق الرغبة • جاسم خوذجي



أساليب تحقيق الرغبة

ما من شك أن نظريتنا القائلة بأن الحلم إنما يرمي في خاتمة كل مطاف إلى تحقيق رغبة نظرية تقابل بصعوبات كثيرة تستحق منها أن تعالجها بامعان ..

والحلم الذي أوردناه فيما سبق عن الطفل الميت الذي اشتعلت فيه النار ، إنما هو تموج حسن لدراسة وجه الاعتراض على نظريتنا ..

وانه لما يشير الدهشة بلا شك أن يقال في البداية إن ذلك الحلم أيضا لا يبعده أن يكون هدفه الباطن تحقيق رغبة ، وإذا رجعنا إلى تعريف «ارسطو» للحلم ، وجدناه يقول على طريقته المشهورة أن الحلم هو تفكير الإنسان النائم من حيث هو نائم ..

والآن لنا أن نتساءل : إن عقلنا في فترة اليقظة يقوم بعمليات كثيرة شديدة . التنويع ، منها الاستنتاج ، ومنها الاستقراء ، ومنها الأقرار ، ومنها النفي ، وغير ذلك ، فلماذا يتخلص هذا النشاط كله أثناء النوم ، ولا يبقى مجال إلا لنوع واحد هو تحقيق الرغبة ؟ ..

وبماذا تفسر تلك الأحلام الكثيرة التي تصور لنا أنواعاً متباينة من النشاط النفسي ، من قبيل الخوف أو القلق ؟ .. بل بماذا تفسر حلم الطفل الميت الذي شبت فيه النار ؟ .. ألسنا نقول أن وجع النار سطع من الباب المفتوح إلى جفني الاب النائم فتولد لديه قلق جعله

يتصور أن أحدي الشموع سقطت من موضعها ، وأنه لعلها قد اشتعلت في أغطية الفراش ، وتولى الحلم اخراج موقف بذلك المعنى يتخد الابن أداة للشكوى ؟

كيف يمكن أن نسمى هذا الموقف تحقيق رغبة ؟ ..

اليس الأولى أن نسمى هذا نشاطاً ذهنياً من نوع نشاط اليقظة ، وان نقول ان النشاط الذهني أثناء النوم والحلم إنما هو امتداد لأنواع ذلك النشاط التي نمارسها في النهار ؟ ..

وذلك كله حرى أن يلزمنا بتعقب معانى تحقيق الرغبة وأساليب ذلك التحقيق وصلتها بما لا فكار اليقظة من آثار وذيول أثناء النوم

والاحلام على هذا الاساس نوعان : نوع يتضمن منه بلا خفاء أن الغرض هو تحقيق رغبة ، والنوع الآخر يتخفى فيه تحقيق الرغبة جهد التخفى وبشتى وسائل التقنع ، وفي هذا النوع يكون تأثير الرقابة الشعورية كبيراً والنوع الاول له أمثلة وشواهد كثيرة من أحشام الأطفال كما ذكرنا فيما سبق ، ويمكننا أن نتساءل عن منشأ الرغبات التي يتحققها الحلم ..

والرأى عندى أن هذه الرغبات لها ثلاثة مصادر :

١ - رغبة من رغبات اليقظة حالت الظروف دون اشباعها أثناء النهار ، ومعنى هذا أن « تركة » ذلك النهار التي آلت إلى الليل والنوم تحتوى على رغبة صريحة تحتاج إلى اشباع

٢ - رغبة من رغبات النهار رفضت أو كبتت ، وبذلك تظل في الحساب الختامي لذلك النهار لا باعتبار أنها تحتاج إلى اشباع بل باعتبار أنها لا تستحق الاشباع

٣ - رغبة لم تظهر في النهار ، ولكنها من النوع الذى

يساونا في الليل لأنها من النوع المتفق على أنه غير مشروع

فإذا كان لدينا في « جهازنا النفسي » ثلاث طبقات هي : الشعور أو الوعي ، ومن تحته ما قبل الشعور ، ومن تحت ما قبل الشعور اللاشعور .. فاننا نستطيع أن نحدد مواضع تلك الأنواع الثلاثة ، فنجد أن النوع الأول من الرغبات يستبقى فيما قبل الشعور حيث نبت ، أما النوع الثاني من تلك الرغبات ، فانها تنبت فيما قبل الشعور ولكنها تبتد وتنفي إلى اللاشعور ، وأما النوع الثالث من تلك الرغبات فتنبت في اللاشعور ولا تخرج عن دائرة

وقد آن لنا أن نسأل : هل لهذه الرغبات الثلاث نفس القوة في تكوين الأحلام ؟

ويخيل إلى أنه يتحقق بالمصادر الثلاثة السالفة الذكر مصدر رابع هو الاحتياجات الحيوية التي تظهر أثناء الليل مثل الشعور بالعطش أو الجوع أو البرد أو غير ذلك ..

وفي اعتقادى أن مصدر الرغبة ليس له شأن بقدرتها على أحداث الحلم .. وللبرهنة على ذلك ، سنستعيد في مخيلتنا الصورة العامة لنماذج الأحلام التى أوردناها في الصفحات السابقة

أن الأطفال الذين يركبون الزورق لعبور البحيرة في النهار ، وتطيب لهم الرحلة ، يطلبون من أمهم تكرارها ، فتائب عليهم ذلك وتستمهلهم إلى يوم آخر .. فرغبتهم لم تتحقق ، ولم تكبت أو تقمع ، بل تأجلت ، ومع ذلك فمنهم من يحلم في تلك الليلة أن رغبته تحققت على صورة نزهة طويلة في الزورق

وهناك الرغبات التى تكبح أو تكبت أثناء النهار ، قد

أوردنا عليها من الاحلام أمثلة كثيرة .. وأضيف اليها نموذجا شديداوضوح ، وهو أن سيدة تتمتع بموهبة اللسان السليط كانت لها صاحبة أصغر منها تزوجت.. فظلت السيدة السليطة مشغولة باشباع فضول المعارف الذين يسألونها عن خطيب صديقتها ، وعن رأيها فيه ، فتجيئهم بالثناء الخالص على شمائله وصفاته ، وتكتب رغبتها في التعریض به صراحة لأن رأيها فيه أنه نسخة من أنداده ، أو « نمرة » أو « رقم » لا يميزه عن سواه من الشبان أى مميز حاسم

فلما أوت هذه السيدة الى فراشها في الليل ، حلمت ان الناس يعيدون عليها أسئلتهم . وانها كانت تجيئهم بالصيفة المحفوظة التي تطبع على المكاتبات التجارية والمكتبية ، وهي :

— يكتفى بذكر الرقم عند الرد ..

وهو الماء كاف الى حقيقة رأيها في ذلك الشاب ، وهو الماء لم يصل الى حد التصرير لأن كبت الرغبة في النهار زج بها الى اللاشعور فلم تستطع الخروج منه الا متنكرة تحت هذا القناع كى تفلت من سلطان الرقيب الشعوري

ومن هذا ندرك أن جمیع الرغبات قوة واحدة على احداث الاحلام .. وكل ما هناك من تفاوت بينها هو في الصراحة او التنكر او التشويه على حسب مدى خضوع مصدر الرغبة لسلطان الرقيب .. فما ينبع من اللاشعور يخضع للرقيب كل الخضوع ، وما لا ينبع من اللاشعور أى ينبع مما قبل الشعور لا يخضع للرقيب ذلك الخضوع ولكن لابد هنا أن نوضح نقطة دقة بعض الشيء ، هي الفرق بين رغبات الاطفال ورغبات السالفين .. فالطفل حين يحال بينه وبين رغبته بالتأجیل مثلا او

الارجاء من غير قمع أو نبذ ، يحلم غالبا في الليل بتحقيق تلك الرغبة تحقيقا فوريا ، أما الشخص البالغ فمن النادر أن يحلم بتحقيق رغبته التي حالت دونها الظروف في فترة النهار ، لأن قوة تعلق الطفل برغباته شديدة جدا ليست تدانيها شدة تعلق البالغ برغباته .. وذلك لأن الطفل لا يعترف أو لا يقتناع بأهمية الظروف التي تحول دون تحقيق رغباته فورا ، فيأتي الحال من خارج تكوينه النفسي ، فليس يشغل تكوينه النفسي شيء سوى رغبته الشديدة ، أما البالغ فكلما تقدم في النضوج كان معنى ذلك ازدياد ادراكه وفهمه واقتناعه بالظروف الخارجية ، فيكون الارجاء أو يكون الحال دون تحقيق الرغبة نتيجة اقتناع من داخل تكوينه النفسي ، وهذا الاقتناع يحد بطبيعة الحال من شدة الرغبة ، وقد يصل في أضعافها إلى ما يشبه الالقاء من غير مقاومة تعقب صراعا ..

وأنا لا أنكر أن البعض يكبرون في السن ، وتبقى لديهم سمات طفالية في بعض النواحي وبخصوص بعض الرغبات فيتشبهون بأشياء معينة يرى سواهم أنها لا تستحق كل ذلك التعلق المفرط أو المطلق

ورغم هذه الفروق الفردية بين الأشخاص الكبار أو البالغين ، فإني أعتقد عموما أن الرغبة التي لم تسمح الظروف باشباعها نهارا لا تظل لدى البالغ شديدة الفاعلية بحيث تحتاج حتما إلى حلم يتبع لها الأشباع في الليل .. ولكنني في الوقت نفسه أبادر فأعترف بأن بقایا تلك الرغبة قد تكون لها مساهمة ثانوية أو جانبية في أحداث الحلم ، فهذه الرغبة النابعة مما قبل الشعور لا تكفي وحدها لاحادات ما نسميه حلما ، بل لابد من عوامل أخرى لدى البالغين تتنازد مع الرغبة

إجل أن ما قبل الشعور ليس هو المصدر الأساسي لموضوعات الأحلام ، فذلك المصدر في رأيي هو اللاشعور ومعنى هذا أن الرغبات الشعورية التي استبقت فيما قبل الشعور لا تحدث حلما إلا إذا استثارت لمؤازرتها رغبة مشابهة لها كامنة في اللاشعور ..

ومن دراستي للرغبات اللاشعورية أثناء علاج المرضى بأمراض عصبية ، أستطيع القول بأن هذا النوع من الرغبات متحفز باستمرار للخروج من دائرة اللاشعور عند أول فرصة سانحة ، وهذا التحفز يعطيها قوة اندفاع ضخمة ، وهي مستعدة أن تغير قوتها لخليفتها الرغبة الشعورية بحيث تتقنع متذكرة في ثياب الرغبة الشعورية بما أشبه الرغبات الشعورية بالشياطين المحبوبة في القمامق في أعماق البحر .. قد تظل مطمورة هناك أمدا طويلا جدا ، ولكنها لا تموت ، وعند اتفه الفرص ، نجدها نفذت إلى الخارج بكل جبروت العمالقة الماثور عنها ..

وهذا يسوقنا إلى تعبير آخر هو أن كل رغبة تتحقق في الحلم أنها هي في أساسها رغبة طفالية ، وهذه الرغبة تكون في مرحلة الطفولة صادرة عما قبل الشعور ، لأن ما قبل الشعور كاف كما ذكرنا لأحداث الأحلام لديهم ، أما عند البالغين فتكون هذه الرغبات قد تحولت إلى اللاشعور وظلت فيه بحيث تستثيرها رغبات حديثة عارضة

وليس جميع الناس سواسية في قدرتهم على ايقاف نشاطهم الفكري أثناء اليقظة .. فمن يستطيع ذلك الایقاف هو أحسن الناس نوما ، ولعل نابليون بونابرت هو خير مثال وعاه التاريخ لأولئك المتسارعين في أجادة النوم ، ولكن سواد الناس لا يوقفون اهتمامات النهار

تمام الإيقاف حينما ينامون ، فتظل المهموم والرغبات التي لم تتحقق والمشكلات التي لم تحل مسيطرة على أذهاننا بعد النوم عن طريق ما قبل الشعور ، وكل هذه منبهات ومؤشرات يمكن أن تقسمها إلى الأنواع الآتية :

- ١ - ما حالت الظروف العارضة دون نجاحه
- ٢ - ما هجز تفكيرنا عن ايجاد حل له
- ٣ - ما استبعدهناه أو كففناه بارادتنا
- ٤ - نزعات لا شعورية أثارها ما قبل الشعور
- ٥ - خواطر تافهة رفض العقل أن يشغل نفسه بها كى يصل بها إلى قرار واضح

وأى نوع من هذه الأنواع المتبقية من النشاط الذهنى في النهار قد يظل ناشطا أثناء النوم يعمل جهده كى يأخذ مداء .. ولسته لا يستطيع ذلك على المستوى الشعوري المألف في اليقظة ، فلا يكون أمامه الا المستوى قبل الشعوري ، ففي هذا المستوى تجتمع الرغبات ذات التاريخ الشعوري المكفوف في النهار وتستعين بالرغبات الشعورية كى تستعيد حيويتها في احداث حلم يكفل لها ما حرمته من التحقيق

والآن نريد أن نعرف ماذا يفعل الحلم حين تكون هذه المشاغل المتبقية من النهار ذات طابع مقلق مؤلم مما يجعل مادتها غير متفقة مع سياسة تحقيق الرغبات .. ان الحلم في هذه الحالة يلتجأ إلى أحدي طريقتين :

- ١ - بغير الحلم الأفكار المؤلمة والمزعجة بأن مجرد صورها من الحالة الانفعالية الطبيعية المفترضة بها ، فتأتى مناظر الحلم وكأنها اشباع كامل للرغبة لا يحتاج إلى توضيح
- ٢ - لا يتمكن الحلم من تغيير الاشكال المؤلمة لشدتها كل التغيير بحيث تبقى لها في الحلم آثار واضحة ، وفي هذه

الحالة تنشأ صعوبة كبيرة في التسليم بأن الحلم تحقيق رغبة ، لأن المضمون المؤلم للحلم أوضح من أن ينكر ، وقد يشعر الحال بالألم مقتربنا بالصور المؤلمة إلى حد الارتياع ، وفي أحيان أخرى تكون الصور المؤلمة مقتربة بشعور محابيد خال من الألم أو السرور ..

والاحلام التي من النوع الآخر هي أيضا في رأينا احلام تحقيق رغبة .. فمن الرغبات اللاشعورية ما لا يمكن اشباعه عن طريق آلام مبرحة يستثيرها اللاشعور من آثار أفكار ذلك النهار المقلقة أو الموجعة القائمة فيما قبل الشعور أو بضريبة يؤديها من الشعور بالندم أو الاستياء لتحقق رغبة ممنوعة مما يجعل نفس الحال ميدان صراع بين قوى اللذة المحمرة وقوة الرقابة الصارمة

ومن المناسب أن نضيف إلى الأحلام التي تحقق رغبة ، نوعا آخر اعتبرنا به في الصفحة السابقة وهو أحلام العقاب ، وأن كان البعض يظنوون هذا النوع ناقضا لنظرية تحقيق الرغبة ، فقد يكون مضمون الرغبة المكتوبة هو انزال العقاب بنفس الحال لشعوره باثم معين

ولكن الرقيب الذي يطالب بالعقاب مرتبط بالشعور، وهذا كفيل أن يجرنا إلى القول بأن الشعور ليس معزولا في جميع الأحوال عن تكوين الحلم .. وهو قول غير دقيق أن التضاد بين الرقيب والشيء المكتوب ليس بالضبط هو التقابل بين الشعور واللاشعور ..

ان الافضل ان نقول ان قوة « الانية » التي تشمل الشعور واللاشعور معا هي التي تستخدم الرقيب حارسا على الاشياء المكتوبة حتى لا تخرج من معتقلها ، فيكون التقابل في حالة أحلام العقاب بين الانة والشيء المكتوب ، بحيث تكون رغبة العقاب رغبة صادرة عما قبل الشعور وسيبها « الانية » العليا للشخص ..

حلم نهودجي

وأحد من المناسب أن أضع أمام أنظار القارئ حلمًا لي يتبع منه مشاكل النهار في صور الحلم :

— في بداية الحلم أخطر زوجتي أن لدى نبا خصوصياً جداً سيدخل السرور عليها ، فتفزع وتتأبه أن تصفى .. فأعود إلى القول أن النبا سار ، وأشرع في الادلاء به ، فابلغها أن الوحدة التي ينتمي إليها ولدنا في الجيش بعثت بمبلغ ما ، لعله خمسة آلاف كراون .. ويتو ذلك شيء عن نوط للجدارة .. وأحد نفسي صحبت زوجتي إلى حجرة أخرى صفيرة بها أشياء مخزونة ، فنفتشر هناك عن شيء ما ، وأرى ابني فجأة .. فإذا به ليس في زيه العسكري بل في زي رياضي متلتصق بجسمه كأنه سبع البحر ، ويصعد فوق صندوق بجوار دولاب ، كمن يريده أن يضع فوقه شيئاً ، وأناديه فلا يرد ، ويخيل إلى أن على وجهه أو جبينه أربطة ، ويزفع شيئاً إلى فمه ، وقد ظهرت في شعره بوادر مشيب ، وتسائل وأنا في الحلم : هل وصل به الاعباء إلى هذا الحد؟ .. هل في فمه أسنان صناعية؟ .. وأهم أن أناديه مرة أخرى ، ولكنني استيقظت قبل ذلك وأنا لا أحس فرعاً أو رعباً ، وإن كان قلبي يدق بسرعة .. وأنظر في الساعة فأجدتها تشير إلى منتصف الثالثة صباحاً ..

وقد سبقت هذا الحلم أحاسيس بالقلق في اليوم السابق ، لأن ابننا الموجود في خط النار كان قد انقطعت

رسائله وأخباره منذ أسبوع أو أكثر ، ومن الواضح أن الملم يتضمن إشارة إلى احتمال أن يكون قد جرح أو قتل ..

وفي الجزء الأول من هذا الحلم ، نلمس اتجاهها واضحاً لتبديل الفنادق المؤلمة بعناصر مضادة لها .. فأقول لزوجتي أن عندي أبناء سارة تتعلق بوصول مبلغ من النقود ونوط للجدار ، ييد أن هذه المحاولات كلها باطلة بالفشل .. فها هي زوجتي تشعر لأول وهلة أن أبنائى المفرحة إنما هي أخبار تشقيق من سماعها ، وتحاول إلا تسمع ما أقول .. فكأن التذكر الذى اتخذته حقيقة النها كان شفافاً بحيث يشى بالحقيقة الموجهة ، فان وفاة الضابط المحارب هو الذى يقترب بارسال متروكتاته إلى أسرته ، وأما نوط الجدار ، فيمungkin عادة لمن يستشهدون في ساحة الشرف .. وهذه كلها دلائل تفضح الواقع المكرور ! ..

ولم يستطع تحقيق الرغبة في هذا الجزء من الحلم إلا القيام بمحاولات هزيلة لإبدال القلق بعكسه ، وأن كنت لا أدرى بالضبط ما الذى منع أفكارى السوداء وقلقي فى النهار كل تلك القدرة على الأعراب عن نفسها أثناء النوم وفي الجزء التالى من الحلم ، تزداد محاولات التغيير والتبدل .. فأرى أبنى في تلك الحجرة الأخرى ، ولكنى لا أراه وهو يسقط بل أراه وهو يرتفع ، وهذا مقتضى بحقيقة عن أبنى ، فقد كان بارعاً في تسلق الجبال .. ولعل هذا هو السبب في ظهوره بملابس الرياضة ! .. وكأننى بالحلم يحاول أن يغير الحقيقة المؤلمة ، فيصور أبنى لي في رحلة رياضية لا في خط النار .. ويشير إلى ما أصابه من قبل في تسلق الجبال من وقوع أدى إلى كسر ساقه ، وكان ذلك إشارة إلى أن القلق في هذه المرة

سيتمنض عن شيء هين كالمرة الأولى ..

وأما أن ابني كان يصعد فوق صندوق ليوضع شيئاً على الدوّلاب في حجرة الخزین الصغيرة ، فهو اشارة لا ليس فيها الى مفاجرة قمت بها شخصياً وانا في العام الثالث من عمري تقريباً لتصل يدي الى شيء مغر في مكان عال .. فوّقعت وارتقطت بزاوية من زوايا الاثاث فوق ذكى اليسر ، ولو كانت لى اسنان لسقطت من اثر الصدمة ..

ولا تخلو هذه الصورة لابنى من نوع من العقاب أو التشفي ، كأنى أويخه على رعونته .. وتعليق ذلك بلا شك هو ما في نفوس الكبار من حسد للشبان !

وليس معنى هذا أن الباعث على الحلم هو تحقيق رغبة الحسد أو التشفي - المكبّوتة في اللاشعور - عند كل متقدم في السن ، بل ان رغبتي الحقيقية هي التخلص من القلق الاليم على مصر ولدى .. فاتخذ الحلم من تلك الرغبة المكبّوتة في التشفي قوة دافعة للتغطية على ذلك الشعور الاليم

ومن المستحسن ، على ضوء ما تقدم ، أن أوضح الدور الذي تؤديه الرغبات اللاشعورية في احداث الاحلام .. فأننا لا أنفي أن هناك أحلاماً يأسرها يكون الدافع اليها عموماً أو كلية آثار متخلفة من مشاغل النهار السابق ، ولكنني أقول أنه في الغالب لا تتوفر مشاغل النهار السابق قوة كافية لصياغة حلم كامل ، فتستعيير هذه المشاغل رغبة لا شعورية ، هي بلا شك قوية لأنها لا شعورية ، فيتحالف معها لتكوين الحلم المطلوب . وذلك أشبه بشخص أمامه غاية بعيدة ، وقدماه أضعف من أن تحملاه الى هناك ، فيمتنى حماراً أو اي دابة قادرة على

مشاق السير ليصلا معا الى الموضع الذى يعجز بمفرده
عن الوصول اليه !

وبعبارة أخرى ، يمكن أن نقول ان مشاغل النهار
تقوم بدور صاحب الفكرة في عمل ما ، ولكنه صاحب
فكرة خالى الوفاض ، فلا بد له من شخص غنى يمده
برأس المال ويكون شريكه في ذلك المشروع ، وهذا المول
الفنى بالنسبة للحلم ، يكون دائمًا رغبة مكبوبة في
اللاشعور

ولكن من الجائز أن يكون المول الفنى هو في نفس
الوقت صاحب الفكرة ، وفي هذه الحالة يكون الحلم هو
تحقيق رغبة لأشعورية أثارها حادث عرضي من حوادث
اليوم السابق

وإذا تمسكتا بتشبيه المول الفنى الذي جعلناه رمزا
للرغبة الأشعورية ، نجد أن الحلم قد تتحقق فيه أي
صورة من صور الاستثمار المالى .. فقد يكون المول
مساهما بجزء من رأس المال اذا كان صاحب الفكرة
الاصلى يملك الجزء الآخر من المبلغ اللازم ، وقد يقوم
المول الواحد بتمويل عدة مشروعات صغيرة في وقت
واحد ، او قد يقوم عدد من المؤلفين بالمساهمة في مشروع
واحد كبير ..

وعلى هذا الاساس، قد نجد في حلم واحد تحقيقا لعدة
رغبات في صور كثيرة متفرقة او في صورة واحدة
متداخلة ..

ان احداث اليوم السابق لها في جميع الاحوال دور
لا غنى عنه في احداث الحلم ، وهذا الدور ، في كثير من
الاحوال ، يكون غير كاف للقيام وحده بتكوين الحلم ..
ولكن الحلم لا يتكون في الغالب الا عم ان لم يكن ثمة
ما يشيره من هذه الاحداث ..

ومعنى هذا أن جميع الأحلام - فيما أعتقد - لا بد أن تكون فيها صلة بشيء حدث في اليوم السابق ، حتى ولو كان هذا الحدث قليل الأهمية جدا .. بحيث يحزر الإنسان في مبلغ لزوم هذا الشيء التافه لاحداث حلم قد يكون ضخما أو معقدا

ان الرغبة المكتوبة في اللأشعور - مهما كانت قوتها - في حد ذاتها عاجزة تمام العجز عن دخول دائرة الشعور أو الوعي بصفتها الذاتية ، فلا بد لها من التلبس أو التحالف مع ذكرى موجودة فيما قبل الشعور تتدخلها أداة للوصول الى الشعور ، وهذه الذكرى « قبل الشعورية » تكون دائمًا بقية من مشاغل الفترة الحديثة من فترات اليقظة ..

وتجلجأ الرغبة اللاشعورية المكتوبة الى عملية أخرى من العمليات المصرفية ، هي عملية « تحويل الرصيد » ، اي أن الرغبة اللاشعورية تحول الى الفكرة « قبل الشعورية » الحديثة العهد قوتها الدافعة وشدتها المكتومة ومن يدرسون حياة المرضى بأمراض عصبية وسلوکهم ، سيجدون في عملية التحويل هذه تفسيرا طريفا جدا لعدد كبير من التصرفات الغريبة التي كانت تبدو لأول وهلة غير مفهومة

ومما يلاحظ أن الفكرة « قبل الشعورية » التي تحول اليها شدة الرغبة اللاشعورية قد لا تتحمل او تتجشم اي تغيير في ظاهرها او تحريف في حقيقتها عندما تظهر في الحلم ، ولكنها في أحيان أخرى قد تتعرض للتحوير كى تتناسب مع الطاقة الجديدة التى حصلت عليها من غير وجه استحقاق

وأستريح القارئ عذرا في أن الجا الى تشبيه من حياتنا الجارية لتوضيح الموقف .. ان الرغبة اللاشعورية

أشبه بطبيب أسنان حائز على شهادة طبية أجنبية من جامعة غير معترف بها .. فهذا الطبيب لا يستطيع أن يمارس مهنته إلا إذا تستر تحت اسم طبيب مرخص له رسمياً بالعمل في البلاد ..

وكلنا نعلم أن الطبيب الناجح لا يمكن أن يغير اسمه ستاراً مثل ذلك النوع من الأطباء غير القانونيين ، فعلى مثل ذلك الطبيب أن يبحث له عن طبيب قانوني فاشل أو خامل الشأن ، فيصل معه إلى اتفاق معقول .. !

وبالمثل فإن الرغبة اللاشعورية غير المصحح لها بالظهور على مسرح الشعور - أو ما قبل الشعور - بصفتها الشخصية .. تبحث عن رغبة أو فكرة مصحح لها بالوجود فيما قبل الشعور ، وبطبيعة الحال لا تطمع في التحالف مع فكرة ذات شأن ، أو لديها فرص فوية للتحقق ، بل تجد ضالتها المنشودة في الأفكار التافهة التي لا تجد بمفردها مجالاً للعمل وتحقيق ذاتها ..

وهذا هو السبب في أن الرغبات اللاشعورية تخيم ستاراً لها في تكوين الأحلام أحدها عرضية تافهة جداً في كثير من الأحيان مما حدث في اليوم السابق أو في الفترة الأخيرة ..

والخلاصة أنه ما من حلم تقوم بتحليله إلا ونخرج من هذا التحليل بخاطر من الخواطر الحديثة العهد بالوعي أو الشعور ، وغالباً ما يكون هذا الخاطر تافهاً أو منبوذاً وثمة سبب آخر لسهولة استخدام هذه التواقه في تكوين الأحلام ، فإنها بسبب تفاهتها لا تثير ريبة الرقيب الشعوري ، فلا تلقى أدنى مقاومة ..

وي ينبغي إلا ننسى أن الخواطر التافهة الحديثة العهد ، تكون غالباً خالية من الارتباط بسائر الخواطر في الذهن ،

فيسهل على الرغبة اللاشعورية التحالف مع هذا الخاطر المنعزل الخفيف الحركة الذي لا تنقله علاقات ترابط أو تداعى كثيرة

ومن هنا ندرك أن الذكريات الحديثة التافهة لا غنى عنها لاحداث الاحلام ، وكما أنها تستمد من الرغبات اللاشعورية شدتها وأهميتها ، فهى تمد تلك الرغبات بما تتمتع به من تفاهة لها أهميتها لتمكن الملم من المحدث على مسرح الشعور وما قبل الشعور



الفصل الثالث من

تطور البصر النفسي • لماذا يوشظنا العالم ؟
الكتب • من الارشاد إلى الواقع



تطور الجهاز النفسي

ولا مناص قبل أن نمضي قدما في هذه الصفحات إن نتحدث عن أطوار «الجهاز النفسي» . . . فهذا الجهاز إنما وصل إلى كيانه القائم بعد تطور في مراحل النمو . فليكن هدفنا الآن هو تصور «الجهاز النفسي» في بعض أطواره السابقة . .

المفروض أن «الجهاز النفسي» فيما مضى كان هدفه الأول هو الوقاية من المؤثرات ما وسعه ذلك ، ولذا اجتهد أن يتخلص من أي إثارة حسية تأتيه من الخارج ، بيد أن استخدام «الجهاز النفسي» في وظائف الحياة الأخرى حتمت أن يقوم هذا الجهاز بتحوير عمله ، فإذا أحس الرضيع بالجوع ولم يستطع تفريغ هذا الإحساس بحركات الحصول على الطعام مباشرة بجهة إلى ما يسمى «التعبير الانفعالي» فيصبح معبرا عن جوعه وحاجته إلى الطعام ، ولكن هذا «التعبير الانفعالي» ليس هو الغرض الأساسي من الإثارة الحادثة في «الجهاز النفسي» لأن الغرض الأساسي هو اشباع الرغبة أو الحاجة موضوع الانفعال . .

والملاحظ أن كل تهيج انفعالي يقترن في «الجهاز النفسي» بذكرى اشباع سابق للحاجة القائمة ، فذكرى خبرة الشبع تقترن مع تهيج الإحساس بالجوع ، ويكون الغرض الأساسي لهذا الانفعال هو تجديد تلك الذكرى بحقيقة واقعية بقدر الامكان ، والاندفاع نحو هذا التجديد

هو الرغبة ، والتجدد نفسه هو تحقيق الرغبة ، ويتم تحقيق الرغبة واقعياً في حالة اليقظة ، وعند العجز عن ذلك لسبب من الاسباب يقوم الحلم بتقديم المسرح اللازم لتحقيقها !

وليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بأن « الجهاز النفسي » في مراحله السابقة كان يرد على هياج الرغبة باشباع ذاتي وهمى قبل التحقيق الفعلى لتلك الرغبة ، ومعنى هذا أن ما يحدث في الحلم الآن من تحقيق الرغبة كان يحدث في مرحلة سابقة من مراحل التطور أثناء اليقظة العادية

ويبدو أن خدوث الاشباع الادراكي عن طريق التصور وحده قد أثبت فشله ، بحيث اختزلت هذه المرحلة المضللة ، وصار الفرض من التعبير عن الرغبة والوصول الى اشباع فعلى او تحقيق واقعى لا مجرد التحقيق الادراكي او التخيلى .. فعندما لا تجد الرغبة طريقها مفتوحا الى التحقيق الواقعى تلتمس المخرج الآخر الممكن وهو الحلم

ومن هنا يحق لنا ان نقول ان الحلم هو محاولة لتحقيق رغبة على نحو ما .. فما من قوة تستطيع تشفييل « جهازنا النفسي » سوى الشعور برغبة ..

وبتعبير آخر ، يعتبر الحلم وسيلة أولية منقرضة كانه يوما ما جزءا من الواقع الفعلى لحياة اليقظة عندما كان التكوين النفسي للبشر أكثر بدائية وسذاجة .. فما أشبه ظهور منهج الحلم في التحقيق الادراكي أو الذاتي للرغبة أثناء النوم بما نشاهده من ظهور أدوات الحرب البدائية المهجورة التي تجاوز الراشدون مرحلتها فإذا بها موضع الحفاظة في حجرات الاطفال ، لأنها الأدوات الوحيدة المتاحة لهؤلاء الصغار مما استفني الكبار عن استعماله ،

كالاقواس ، والسهام ، والنبال ، وغير ذلك والحلم ، على هذا الأساس ، هو رجوع إلى مرحلة طففية من الحياة النفسية للبشر ، ويؤيد هذا الافتراض أن المرضي بأمراض عصبية يحدث لديهم تكوص أو ارتداد إلى مراحل سابقة من النمو النفسي .. فإذا بتحقيق الرغبة الادراكى أو الذاتى غير المرتبط بالواقع يبدأ في ظاهرته ، ويعيشون به أو يعيشون عليه بنفس الطريقة التي يتواهم الأصحاب بها أنهم ظفروا بتحقيق رغباتهم وهم نائم

وغمى عن البيان أن الرغبات اللاشعورية لا تبقى أثناء النهار مستسلمة للعجز والخمول ، بل ان قوتها لا تكفي عن النشاط .. وكلما وجدت منفذًا إلى ما قبل الشعور ، ثم الشعور ، لم تتردد في المرور منه ولو عن طريق « التحويل »

والتحويل كما سبق القول عملية شبيهة بعمليات تحويل ورصد النقود من شخص إلى شخص آخر ، فإذا بطاقة الرغبة اللاشعورية الممنوعة وقد تحولت إلى رغبة أخرى مسموح بها أو شبيه مسموح بها .. يتم عن طريقها تحول التيار الاندفاعي من أعماق اللاشعور إلى المجال الشعوري والحركي في موضع يبدو للنظر السطحي أنه لا يستحق كل هذه الحماسة وهذا العنف

أن الذى لديه طاقة لا شعورية عنيفة مكفوفة أو مكبوبة ، ينتهز فرصة أي عمل يستطيع القيام به فيصرف فيه طاقته المكبوبة ، وعندئذ يقول التعبير الدارج في شيء كثير من القطنة أن ذلك الشخص ينفس عن همه بذلك العمل ..

ولعل هذا هو السبب في أن المرضي بأمراض عصبية والمجانين يلاحظ عليهم العامة قوة غير منتظرة في أداء

**أبسط الحركات ، وحرارة غير متناسبة مع المناسبات
الظاهرة ..**

ومن هنا ندرك الاهمية الكبيرة لجهاز الرقابة الشعورى أو الوعي ، لأن هذه الرقابة هي التي تمنع الرغبات اللاشعورية من الوصول الى السيطرة على الجهاز الحركى للشعور ، ففى أثناء النوم تحتمل الرغبات اللاشعورية — كما قلنا سابقا — وتحول شدتها الى خاطر من خواطير ما قبل الشعور كى تظفر بتحقيق صورى فى الحلم ، ولكن الرقيب عند النوم يغلق الباب بالفتاح على الجهاز الحركى ، فلا تستطيع هذه الصور عند الاصحاء أن تتحول الى تحقيق فعلى عن طريق الحركة ..

وهكذا يكون جهاز الرقابة بمثابة صمام الامان الذى يحول بين الرغبات الممنوعة والتحقق الفعلى أو العملى ، ولا يترك لها أثناء النوم الا التنفيذ الادراكي الذى لا ضرر منه ..

ان الرقيب هو « الديدبان » القائم على صيانة سلامتنا العقلية بهذا الاسلوب المشار اليه آنفا ، وقد يكون من الطبيعي أن يظفر هذا « الديدبان » بشئء من الاسترخاء والراحة مدة النوم ، وهذه هي الفرصة التى تنتهزها الرغبات اللاشعورية ، فان هذا لا يحدث الا بعد اتخاذ الاحتياطات التى ذكرناها .. فتظل هذه الرغبات مهما عربدت في حدود التصورات الحلمية عاجزة عن النفاذ الى عالم الواقع العملى ، لأن الجهاز الحركى في أمان من يدها .. فلا يأس من ترك الجبل لها على غاربه بعض الوقت ما دامت منافذ مواطن الخطر في أمان تام من عبئها وهذا هو الفرق بين نوم الاصحاء ويقظة المرضى العصبيين أو العقليين .. فالاصحاء يغفو جهاز الرقابة عندهم بعض الاغفاء ، وقد احتاط قبل غفوته فأغلق باب

الجهاز الحركي حتى لا تعبث به الرغبات اللاشعورية المعرية ، ولكن المريض العصبي أو العقلي يغفل الرقيب لديه عن ذلك الاحتياط ، أو يعجز عنه ، فلا يحمي الجهاز الحركي من سلطان الرغبات المتسربة من اللاشعور في الأحلام ، فلا يتخيّل تحقيق رغبته فحسب في شكل صور ، بل ويحاول فرض ذلك التحقيق على الواقع في شكل حركات وأفعال ، أى في شكل سلوك !

أن العامل الأساسي في حالة الحلم هو سيطرة « الرغبة في النوم » على الرقيب الشعوري ، وهذه الرغبة أو الحاجة إلى النوم تقتربن باغلاق طريق الجهاز الحركي الشعوري مع شيء من التهاون في مراقبة محتويات ما قبل الشعور ، وكما ينام القطب فتخرج الفرمان من الشقوق والمجاور ، كذلك تتسلل الرغبات اللاشعورية المكتوبة عندما ينام الرقيب بعض النوم ، وهي تعلم جيداً أنه لا ينام مائة في المائة ، ولذلك لا تجترئ على الخروج سافرة بل تتخذ أقنعة من محتويات ما قبل الشعور كى تمر أمام الرقيب الوسنان ! ..

وهي اذ تخرج إلى المسرح تجد أجهزة الاعمال والحركة بعيدة عن متناول يدها ، فلا تملك الا الصور البصرية .. وهذه - كما قلنا - لا ضرر منها في حد ذاتها ، فلا تستحق منا عناء البقاء متيقظين تماماً لمنعها من المحدث وسنحاول هنا أن نوضح أهمية عامل الرغبة في النوم أو الحاجة إلى النوم .. فنشير إلى حلم سبق أن تحدثنا في تحليله ، وهو حلم الوالد الذي رأى في المنام ابنه المتوفى ينبعه إلى اشتعال النار فيه .. وكان الباب بين غرفة الأب وغرفة الميت مفتوحاً ..

ان وهج النار من الحجرة الأخرى سقط على جفون الاب النائم ، فاستدل من ذلك رغم نومه أن النصار

اشتعلت في جثمان طفله ، وصور الحلم صورا تتفق مع هذا المعنى ، وقلنا ان هذه الصور كانت تهدف الى اطالة عمر الطفل ، فتحقق بذلك رغبة قوية لدى الحالم ، وتقول هنا انه كانت الى جوار تلك الرغبة رغبة أساسية أخرى بلا شك هي رغبة الاب في النوم نتيجة حاجته الشديدة للراحة بعد طول السهر والتمريض ، ولا سيما بعد أن وضع موت الطفل حدا لكل جدو من السهر بعد ذلك وهكذا نرى أن الحلم الذي رأه ذلك الاب كان يوفّق بين تحقيق رغبتيين شديدين معا ، رغبة يواافق عليها الرقيب كلية وهي اطالة فترة النوم ، ورغبة أخرى هي اطالة عمر الابن او افتراض أنه لم يزل حيا في زمن ذلك الحلم على الأقل .. وكان الرقيب اذ سمح بهذا الحلم يقول لنفسه :

— خير لك أن تسمح لهذا الحلم بالحدث — على هذا الوجه — حتى لا تضطر للاستيقاظ فورا والتخلّى عن نومك في الحال للبحث عن أسباب ذلك الوهج في المجرة الأخرى

وإذا دققنا النظر في جميع الأحلام ، وجدنا أن الرغبة في النوم أو الاستمرار فيه مشتركة في جميع الأحلام ، وتبعد هذه الرغبة أنشط ما تكون في جميع الأحلام ، قبيل لحظة الاستيقاظ .. فإذا بجميع التأثيرات الخارجية الواقعية كالاصوات ورئتين جرس المنبه والنداءات وقد تحولت الى عناصر متوافقة داخل حلم ، الفرض منه صرف الذهن عن جدية هذه التنبّيات الخارجية ، وتحويتها الى عوامل من شأنها اطالة فترة النوم .. وهكذا تحول هذه التنبّيات من مذكر بالعالم الواقعى الخارجي ، او عالم اليقظة ، الى جزء داخل في نسيج الحلم او عالم النوم

وهنالك ناحية أخرى يبدو فيها واضحاً تأثير عامل الرغبة في النوم أو الرغبة في استمرار النوم .. وذلك عندما يتجاوز الحلم كل حد معقول في تحقيق الرغبة أو التشوّيه الذي يستعين به لتحقيق الرغبة .. فيتململ الرقيب ، ويهم أن يفرك عينيه ويصحو ليطرد هذه الفيarian العابثة إلى جحورها .. وإذا بشيء يقول له :

ـ لا داعي للقيقة وحرمان نفسك من النوم ، فأنك تعلم أن هذه مجرد أحلام لا خطر حقيقي منها مهما بلغ من أمرها !

وهذا يسوقني إلى نتيجة هامة :

ـ إذا كنا ندرى أننا نائمون ، فنحن ندرى بمثل تلك القوة أننا نحلم .. ونحن نستسلم للحلم ، أو نسلم به ، مثلما نسلم بالنوم ونستسلم له

وتتفاوت درجات هذا الإحساس بالنوم والحلم لدى الأفراد ، وهناك أشخاص يحسون بوضوح أنهم في حالة نوم وفي حالة حلم .. ولذلك يستطيع هؤلاء الأشخاص التصرف في أحلامهم كما يتصرف السائق في توجيه سيارته ، فالحالم منهم إذا لم يعجبه اتجاه أحد الأحلام ، وضع له حداً من غير أن يخرج من ساته .. وشرع في تكميله له أكثر اتفاقاً مع أهواهه ، فيما أشبهه هذا بمؤلف الذي لا تعجبه نهاية مسرحيته ، أو يجد أنها لا تجد هوئي لدى الجمهور ، فيحذف الفصل الختامي وينسج خيوط فصلٍ جديد بكل سرعة ولباقة ..

وليس من النادر أن يجد الأشخاص من هذا النوع أنفسهم في مواقف غرامية أو جنسية أثناء الحلم ، وحين يصل الحلم إلى نقطة حرجة يشعرون أن من اللائق صرف أنفسهم عن تتمة الموقف مدركون أنه مجرد حلم ، ومنهم

من يحدث منه العكس .. فاذا لم تفسه اثناء الحلم على
تصرف ، صرف هذا الملام قائلا :

ـ أنا أعلم أن هذا مجرد حلم .. لا حرج على من اللهو
وقضاء البأنة في حلم لا ضرره على أحد

والعجب أن الرغبة في النوم تتوافق مع الرغبة في
تحقيق الأهواء ، ولكن من جهة أخرى نجد الرغبة « قبل
الشعورية » في النوم لدى الأم مشروطة بقيد هو عدم
نقطة الطفل الرضيع أو المريض ، وقد تعجز أشد
الأصوات الغريبة عن إيقاظ تلك الام ، وان سبب لها
احلاما تساعدها على اطالة نومها وتجاهل تلك المنبهات
الاجنبية ارضاء للرغبة « قبل الشعورية » في التمتع بالنوم
أطول مدة ممكنة ، ولكن أقل حركة خافتة من طفلها
بالذات تكفي لايقاظها فورا ، لأن هذا الإيقاظ يأتي متتفقا
مع رغبتها « قبل الشعورية » في النوم اتفاقا عن وضاء
تم من الطرفين .. والحارس على هذا الاتفاق هو الرقيب
الشعوري أو « الانية » للأم



لماذا يواظبنا الحلم ؟

ان اهم ما يشغل ما قبل الشعور في الليل ، هو الرغبة في النوم او الاستمرار فيه ، وعلى هذا الاساس نستطيع ان نفهم ما يحدث عند تكوين الاحلام بصورة اوضح .. وتوطئه لهذا الشخص ما حصلنا عليه من معلومات في ان رواسب احداث اليوم السابق التي لم تفز باهتمامات اثناء اليقظة تبقى فيما قبل الشعور ، هي وبقايا ما اثاره شاطنا اليومي من رغبات لاشعورية مكبوبة ، وعند النوم يتلاقي على المحدود الفاصلة بين اللاشعور وما قبل الشعور ما اثير من الرغبات وما اهمل من الخواطر والافكار النهارية ..

وفي غيبة الرقيب ايضا ، تعمل الرغبات اللاشعورية المكبوبة او المستشاره على تحويل طاقاتها الكبيرة الى بقايا النشاط النهاري المهمله ، والمرجح الا يحدث هذا التحويل الا بعد الاستغراف تماما في النوم ..

وبعد حدوث التحويل ، تتجه الطاقة الجديدة الى مجال الشعور نفسه مخترقه كل طبقات ما قبل الشعور ، وعند المحدود الفاصلة بين ما قبل الشعور والشعور يربض « الديديبان » الرقيب ، وهو امين جدا في عمله ، ولذلك لا ينام بحواسه كلها ، ولذلك ايضا تعمد الطاقة المتسللة الى الكثير من التذكر او عمليات التشويه ، فتصير هذه الطاقة قوة مندفعه ذات واجهة مشوهه ، وتستشير من الذكريات المترنة بمظهرها الجديد المشوه صورا كثيرة

من مخزونات الذاكرة تساعدها على اعمال التصوير
البصري التي نسميها باسم الحلم ..

ويزعم «جوبلو» أن الحلم لا يتراهى للنائم إلا في الفترة
التي تقع بين التهيئة لليقظة وبين اليقظة ذاتها ، وبعبارة
أخرى أن الحلم يمثل مرحلة «احتضار» النوم ، وهي
مرحلة غالباً ما تكون قصيرة جداً .. ولأن صورة الحلم
كانت واضحة وقوية تتوهم أن الحلم هو الذي أيقظنا ، مع
أن العكس هو الصحيح .. أي أن استعدادنا لليقظة هو
الذي جعل صورة المعلم تبدو قوية واضحة ، فليس الحلم
في نظر «جوبلو» إلا افتتاحية يقظة ، أو المدخل إلى
البيقظة ..

ولكن من المعروف للناس جميعاً أن هناك أحلاماً
لا تعقبها اليقظة ، ومن هذه الأحلام بالتأكيد تلك الرؤى
التي يعلم الحالم فيها أثناء الحلم أنه يحلم ، أي أنه نائم ،
ثم يستمر في حلمه أو ينتهي منه ويظل نائماً ..

أني لا أستطيع أن أقر «جوبلو» على رايته ، فخبرتني
في الأحلام ، ومجموع نظريتي لا يتفق مع القول بأن الحلم
لا يشتمل إلا فترة التهيئة للاستيقاظ

أني على العكس أرى أن الحلم يبدأ قبل النوم ، أي
أن جذور الحلم ومقدماته تقع في صميم حياتنا النفسية
ونشاطنا النفسي وجهازنا النفسي أثناء اليقظة ، وأما الجزء
الظاهر من الحلم ، أو المرحلة التنفيذية من الحلم التي هي
بمشابهة الشمرة من نبات له فروع وأصول وجذور ،
فيستفرق حدوثه معظم فترة الليل أو كلها ، ولذلك
فنحن نرى أن الذي يقرر بعد يقظه أنه ظل يحلم طول
الليل محق في احساسه هذا وليس واهماً ، حتى ولو لم
يستطيع ذلك الشخص أن يتذكر موضوع احلامه
وعلى ضوء تجربتي الشخصية ، أستطيع أن أقر بغاية

الطمأنينة أن الاستعداد للحلم قد يستغرق جملة أيام وليال ، وفي هذا ما يفسر لنا البراعة والدقة والفنى التي تمتاز بها الكثرة الفالية من مشاهد أحلامنا .. ان الاحلام التى نراها أشبه بالألعاب النارية والصور اربع الشى يحتاج اعدادها الى جهد كثير ووقت طويل ، وان كان اطلاقها وظهورها في عنان الجو لا يستغرق الا بضع ثوان !

ولكن هذا لا يقلل من اهتمامنا النظري بتلك الاحلام التي تتسبب في قطع نومنا بشدة ، فمعنى ذلك القطع للنوم أن الرغبة اللاشعورية أوتىت وقتيت من القوة ما تغلبت به على الرغبة قبل الشعورية التي تتركز في الاستمرار في النوم ، ولكن اليقظة في الغالب يعقبها رجوع الى حالة النوم بسرعة ، شأن من يقطع تيار مشاهده الذهنية ليذبح حشرة حطت على طرف انهه ثم يعود الى سياق أفكاره من جديد ..

فإذا رأينا هذا كله ، وجدنا ان الاوفق للصحة العقلية هو ترك الرغبات الشعورية تنفس عن شدتها أثناء الحلم ، ولو أدى ذلك الى ازعاج رغبتنا في استمرار النوم ، وتنبيه الرقيب بفرط عربتها او عنفها .. فذلك أدعى للراحة النفسية من مداومة التيقظ للمكبوتات ليل نهار ، فلا تقل خدمتها وتظل شدتها تقلقنا وتذود عن الراحة

الكتب

اننا نعتقد أن من وظائف الحلم بلا شك أن يقوم بعمل صمام الامان في التنفيس عن الشحنات الزائدة عن الحاجة ، وما أكثر الاشياء الضارة التي تتجرد من ضراؤتها وسمومها بعد أن تتناولها الاحلام بالتعبير والتوصير ، ونعتقد كذلك أن نقوسنا في الحلم ترتد عن كمالها الراهن ودقتها في التنظيم والكاف الى مرحلة بدائية تبدو فيها أقرب الى وسائل الطفولة التي ينقصها الاحكام ، ولو لا الرغبات المكبوتة والمكبوحة لما تيسر القوة الدافعة التي تكفى لاحداث الاحلام ..

وقد اتضحت مما سبق أن الحلم يتناول بعض الاحداث التي تبقيت من نشاطنا اليومي، فيستخدمها كما يستخدم عامل المطبعة الحروف المتناثرة ليؤلف منها وحدة متكاملة وليس من الضروري أن يتم هذا التأليف أثناء النوم ، بل ليس ما يمنع أن يكون هناك تيار فيما قبل الشعور لا تعنيه أثناء اليقظة يجمع تلك الشتات ويداول بينها حتى اذا حانت ساعة النوم بدأ العرض السحرى . فما اشبه ذلك بالأعمال المتنوعة الشاقة البارعة التي تجري طوال النهار في مطابخ بيوتنا ونحن لا نشعر .. حتى اذا دق ناقوس الطعام وجدنا على المائدة صحافا متعددة. الالوان واننا لنخرج من هذا بفكرة بالغة الاهمية هي ان من اوجه النشاط الفكري الشديدة التعقيد ما يمكن ان

يجري بمعزل عن الشعور التام وبغير اسهام منه ..
ولكن هذه العزلة في التجميع والتاليف لا تعنى ان
المادة المجمعه المركبة من رواسب الشعور في مجال ما
قبل الشعور منوع عليها ان تخترق النطاق الى مجال
الشعور نفسه ، ولا بد من البحث عن سبب كاف لابقاء
هذه الافكار قبل الشعورية بعيدا عن مسرح الشعور
اثناء اليقظة ..

ان هذا السبب المباشر الذى يمنع تلك الافكار او
المكونات الخلمية من ان تلج الشعور في حال اليقظة هو
«الانتباه » .. فالانتباه مثل شعاع الضوء لا يسقط الا
على بقعة محددة يتوجه اليها

ومن شأن الانتباه حين يسقط شعاعه على فكرة او
خاطرة ضعيفة او واهية هزيلة لا يمكن الدفاع عنها ، ان
يتتحول الى اخرى يبحث عنها .. ويسقط الخاطرة
الأولى من حسابه ، شأنه في ذلك شأن من يبحث عن
اللائىء ، فكلما وجد محارة خاوية نبذها ولم يعلق بها
اهتمامه ، ولكن المحارات المتبوذة لأنها فارغة لا تحمل
من الوجود مجرد أنها سقطت من حساب صائد اللائىء
ولذلك قد يحدث أن تتجمع المحارات الفارغة (اي
الخواطر الضعيفة المتهاافتة) وتكون فيما بينها كومة او
جبهة ، وهذه الكومة او الجبهة لا يمكن أن يهتم بها
صائد اللائىء ، الا اذا انطفأ المصباح وراح يخبط في
البحر على غير هدى .. فانه حرى أن يرتطم باكتوام المحار
الفارغ ، وكذلك الانتباه : اذا ففا امكنا للخواطر المهملة
أن تطفو الى سطح الشعور في غيبة هذا الناقد اليقظ ،
ويكون ذلك في فترة النوم ..

وهذا هو مانعنه حين تقول ان كواليس مسرح الخل

التى تعمل بنشاط كبير قبل ساعة رفع الستار هى ما

نسميه ما قبل الشعور .. فعمليات اعداد الملم عمليات
نسمتها قبل الشعورية

ان هذه المجموعات من الخواطر المهملة او المكبوتة
تفتقر غالبا الى التمويل ، او الى الطاقة الحيوية الشديدة
وهي تجد ما تشاء من ذلك التمويل بين الرغبات
اللاشعورية المكبوة .. فيتسع نطاق الكواليس في هذه
اللحظة ، ولا ينحصر فيما قبل الشعور بل يصل أيضا
إلى آفاق اللاشعور الترامية ..

وقد يحدث أن تكون الخاطرة الشعورية نبلت إلى
ما قبل الشعور لاقترانها على حسب قواعد تداعى الافكار
بفكرة مكبوة او رغبة لا شعورية ، وذلك يؤدي من
البداية الى ارتباط بين ما قبل الشعور وبين اللاشعور
ينتهي الى نتيجة مماثلة للحالة الاولى تماما ، وهو تكوين
احلام تنتهز فرصة النوم لرفع الستار عنها ..

ولكننا ينبغي ان نتبه الى فرق كبير بين النوعين ،
فالافكار المهملة التي تستطيع الاستعانة بحليف من
رغبات لاشعورية غير عنيفة ، وبحيث يسيطر على
اللاشعور بسهولة ، تحدث احالم لا اضطراب فيها ولا
عنف ، واما الافكار التي ترتبط برغبات لاشعورية شديدة
العنف ، فهي حرية ان تعجز عن السيطرة عليها ، ولذا
يشتد الصراع بين الفريقين في مشاهد الملم ، وتكون
النتيجة تلك الاحلام المتناقضة المزعجة ، و اكثر ما تكون
مصادر هذه الرغبات اللاشعورية من فترة الطفولة الاولى
حيث يشتد الكبت .. وهذا يؤدي بنا الى ضرورة

توضيح معنى الكبت

وقد تذكينا فيما سبق أننا نتصور «المجاز النفسي»
في مراحل تكوينه البدائى ، وكل همه التخلص من الانحرافات
الخارجية والاستجابة للمؤثرات استجابة مباشرة تقضى

على التوتر الانفعالي ، وهذه الاستجابة الحركية المباشرة هي الاشباع ..

وانتقلنا من ذلك الفرض الى أن حدوث الحرمان ، اي عدم القدرة المباشرة على الاشباع الفوري ، تؤدي الى تراكم شحنات الاثارة من غير تفريغ .. فيحدث توقيع انفعالي على صورة الالم ، ويصاحب هذا الالم تذكر صور الاشباع القديمة ، وهذا هو ما يسمى مبدأ اللذة وما يسايره من قانون الالم عند الحرمان منها ..

ومفروض أن اللذة والالم ينظمان الحيسنة الفطرية تنظيمًا تلقائيا ، ولكن العجز عن الاشباع المباشر ادى في مرحلة تالية من مراحل التطور الى وجود نظمتين : هما نظام تصور الاشباع او الاشباع التصوري ، ونظام الاشباع الفعلى او الاشباع بالحركة في مجال الواقع لا في مجال التصور . والنظام الاول هو الذي يصدر عنه الحلم لدى الاصحاء والوهام المرضية لدى الملتائين في اليقظة ، وأما النظام الثاني فهو نظام اليقظة الذي يقوم على حراسته الرقيب او الانتباه او الانية العليا ..

وبسبب قيام هذين النظمتين المتمايزتين وجب ان ينفصل اللاشعور الذي تحتجذب في اعماقه المكتوبات بعيدا عن التصور وعن الفعل معا ، عن ما قبل الشعور الذي ترسّب فيه الخواطر الخالية من الاهمية والتي لا يأس من ورودها في نظام التصور او الوهم .. ولكنها ممنوعة على كل حال من الدخول في مجال السلوك الحركي

وخبرتنا في الاحلام تؤكد لنا ان الرغبات المكتوبة والخواطر المكتوبة لا تنعدم بل تظل محتفظة بطاقاتها النفسية ، سواء كان الشخص سليمًا او مريضا .. فالحلم في حد ذاته هو الدليل الحي على حيوانية تلك الرغبات والخواطر ..

وهذا حرى أن يقود الى القول بأن تفسير الاحلام هو السكة السلطانية المؤدية بنا الى ارتياح كل ما هو غير شعوري أو غير واع من جوانب نشاطنا النفسي ، وهذا وحده كاف للقول بأن تفسير الاحلام على ضوء منهج التحليل النفسي شيء بالغ الخطورة في تعريفنا بحقائق تركيبنا النفسي ومتاعبنا النفسية .. انه الفواضة التي تستطيع دون غيرها أن تزودنا بعينات وحفيات ومعلومات عن الحياة العاتية المعاصرة عن عيوننا في أعماق البحار ، ولها مع ذلك قوانينها الخاصة وأبعادها التراجمية وأطوارها العجيبة رغم جهلنا الطويل على مدى القرون بذلك كله ..

بل ان هذا التشبيه أقل من الواقع ، لأن ما هو خارج شعورنا من جوانب حياتنا النفسية وثيق الصلة جداً بجهازنا النفسي كله وبأفعالنا وأنفعالاتنا ..

ولا مفر من القول بأن أهمية تفسير الاحلام في الكشف عن أغوار النفس تزداد كثيراً بالنسبة للحالات المرضية ، لأنها ستكتشف لنا لدى المرضى بما في داخل « جهازهم النفسي » من تصدع أو تفكك في مواضع معينة



من اللاشعور إلى الواقع

وهناك معارضون يصررون على أن ما هو نفسي مرادف لما هو شعوري . . فما لا نشعر به فهو ليس من أنفسنا أو من نشاطنا النفسي ، ولو صح قولهم لكان دعوانا بأن هناك عمليات نفسية لا شعورية ، أو قبل الشعورية ، فيها نوع من الخلط أو التناقض ، ولكن معنى هذا أيضا أن جميع ما يحصل عليه طيب الامراض العصبية من ظواهر نفسية مرضية لا قيمة له ، مع أن هذا هو حجر الزاوية في بناء الطب النفسي ورسم الطريق للعلاج النفسي

وحسينا أن نقول لهؤلاء ان الصفحات السالفة من هذا الكتاب تحفل بعمليات عقلية مركبة أشد التركيب ، تم الجزء الأكبر منها في غفلة من الشعور وبعيدا عن مجاله ، وهي حقيقة تكفي في حد ذاتها للجزم بأن جزءا لا يستهان به من حياتنا النفسية يقع خارج دائرة الشعور أو الوعي وهذا سلمنا الى القول مع « دوبيريل » بأن الشعور والنشاط النفسي أو النفس شيطان - أو مفهومان - ليسا سواء من حيث « المصدق » ، وهو كلام فلسفي ترجمته أن الشعور والنشاط النفسي ليسا مترادفين ، وأن كل ما هو شعوري فهو نشاط نفسي حتما . . ولكن العكس ليس صحيحا ، فليس كل نشاط نفسي شعوريا بالضرورة . .

اننا أمام حقيقة علمية لا مناص من التسليم بها ، وهي

أن اللاشعور هو أساس «الجهاز النفسي» .. انه المحيط الواسع الذي يحتل الشعور جزءاً محدوداً من سطحه ، لأن كل ما هو شعوري إنما يأتي نتيجة لسلسلة من التمهيدات اللاشعورية ، وفي الوقت نفسه ليس من الضروري أن يجد كل ما هو لا شعوري طريقه إلى الشعور ..

ان من العمليات اللاشعورية ما يظل إلى النهاية لا شعوريا ، ولكن هذا لا يقل من قيمته .. كما أن عمليات امتصاص الغذاء من التربة تظل في حدود الجذر من النبات ولا يقل ذلك من أهميتها .. مع أنها لأنها باعیننا كما نرى الأوراق والبراعم والثمار

ان اللاشعور هو الحقيقة النفسية الكبرى ، وفي أغواره الخفية المجهولة منها آلاف الأشياء التي قوّثر فيها ونحن لا ندرى .. بل أن ما يتبدى من نتائج اللاشعور في دائرة الشعور لا يمكن أن يبدو لنا على حقيقته ، بل بعد تعديلات وتشكيلات ضرورية ..

اننا لا نعرف عن حقيقة العالم الخارجي الا ما تصوره لنا حواسنا ، فليس هناك ما يثبت لنا أن من نراه أحمر اللون إنما هو أحمر في حقيقته فعلا ، وأن ما نحسه ساخنا إنما هو حار في حقيقته فعلا .. فكل ما نملكه من وسيلة للتعرف إلى العالم الخارجي هو تصوير حواسنا لتلك الأشياء الغريبة عنا ، وكذلك الحال بالنسبة لللاشعور .. فنحن لا نعرف ما به من حقائق موجودات إلا عن طريق ما يصوّره الشعور من تلك الموجودات المجهولة منا ، فاللاشعور الصدق ما يكون بنا وأبعد ما يكون عن ادراكنا ..

وان التسليم بوجود اللاشعور هو الأساس الحاسم لتوضيح الصلة الحقيقة بين مجال الشعور ومعطيات

الاحلام ، فلم تعد الاحلام خارقة من الاعاجيب ، ولا فعلا من افعال الجان ، ولا نذيرا من نذر الغيب .. بل انها نتيجة طبيعية لنشاط طبيعي لذلك الجزء المحبوب عنا من النفس ..

بل اننا نعرف الان ان الطاقة العقلية التي تبدو ناشطة في الحلم ليس لها مصدر آخر سوى المصدر الذي تتبع منه الطاقة العقلية أثناء اليقظة . ومرة أخرى يكون رأى المعلم الاول « ارسطو » أقرب على عراقته في القدم الى النظرة العلمية الحديثة ، وهو يقول ان الحلم انما هو تفكير النائم من حيث هو نائم .. فما أقرب ذلك الى القول معنا بأن الحلم انما هو صورة بصرية تعبير عن اندفاع طاقة نفسية ، كانت تصادرها اليقظة ، فوجدت فرصتها للتسلل متخفية متنكرة تحت جنح الليل ..

ويبين أعمق الاشعور التي لا تسمح لها طبيعتها بالخروج على ما هي عليه الى مسرح الشعور ، وبين ذلك المسرح شقة من الارض الحرام هي الذي نسميه ما قبل الشعور ، وهو الذي يقوم بدور الوسيط وينفذ منه التسلل الذي نسميه تعبيرا بصريا بالاحلام عن الطاقات الاشعرورية ..

ان ما قبل الشعور هو الذي يفترض فيه اغلاق المنافذ بين الاشعور والشعور ، وهو في الوقت نفسه يقفل المنافذ الى جهاز الحركة الارادية او الشعورية في الانسان ولعل سائلا يتتسائل الان :

ـ ماذا بقى من عمل للشعور بعد أن انكمش هذا الانكماش في حدود ضيقية جدا تطفو فوق سطح المحيط النفسي ؟ ..

ـ وجوابنا أن الشعور في مذهبنا وظيفة حسية لادراك الحالات النفسية .. لا اكثرا ولا اقل ..

وما من شك في أن تكوينات «الإنية» العليا للإنسان تتتمثل في الرقيب الشعوري الذي يقف على الحدود بين الشعور وما قبل الشعور، وأن الكثير من عملياتنا النفسية يتوقف على دقة قيام ذلك الرقيب وأمامته ويقظته وفطنته، ومن أهم مظاهر نشاط هذا الرقيب ما ينتاب أحلامنا من تنكر أو تشويه توقياً لاثارة ريبة وأعمال المصادر التي يقوم بها في حزم وشدة ..

ولا شك أن الكثرين من المتشككين يتساءلون عن قيمة مثل هذا البحث بالنسبة للأشخاص الطبيعيين الاصحاء ولا شك أيضاً في أن المتزمتين يشمئزون من بعث هذه الدراسة للنزاعات الغريرية المكتوبة والكشف عن نشاطها المنافي للأخلاق في عرفهم ..

وأنا لست على مذهب هؤلاء المتزمتين، ولا أرى أنه يحق لنا الاعتراض عن نتائج الكشف العلمية لا لشيء إلا لأنها تخالف هواناً أو تجرح حياءنا، وفي اعتقادى أن ذلك الامبراطور الرومانى الذى أمر بإعدام أحد رعاياه لأنه حلم باغتياله قد اقترف خطأ فادحاً، وكان الإجدر به أن يحاول الكشف عما وراء ذلك الحلم من حقائق نفسية، وليتهوعى جيداً كلمة أفلاطون الحكم :

ـ الإنسان الفاضل لا يتجاوز بشروره دائرة الأحلام، أما الشرير فلا يكفيه الحلم بل يتجاوزه إلى الفعل .. !

ـ وذلك حرى أن يجعلنا نتسامح في شأن الأحلام . على أنى أتبه بشدة ووضوح إلى أن الرغبات اللاشعورية في نظرى موجودة. قطعاً في أغوار النفس وتتفصّح عن فاعليتها القوية قطعاً في الأحلام، ولكن ذلك لا يمنحها في نظرى الحق في الوجود خارج دائرة النفس، أي في عالم الواقع، وأنا لا أدعوا إلى الانكماش في التربية والأخلاق بحيث ينقد لرغباتنا اللاشعورية لمجرد الاعتراف لها بالوجود والقدرة

في مجالها النفسي الخفي .. فللأخلاق والتربية حكمهما
وسيادتهما على عالم الواقع ..

وانى ارفض بشدة كذلك ان يكون نشاط الاشعور
كما يتبدى في الاحلام أساسا للحكم على أخلاق الشخص
او طباعه ، فنحن لسنا فضلاء لأننا بلا غرائز قوية .. بل
نحن فضلاء لأننا نعرف كيف نتحكم في مستوى شعورنا
في غرائزنا ورغباتنا الاشعورية باللغة ما بلغت من القوة

اما أن الاحلام كوة نرى منها لمحات من الغيب والمستقبل
فذلك باطل .. لأن الحلم إنما يصور الماضي ويصدر عنه
ويعبر عن مكتوناته المطوية او المنسية ..

وكل ما للحلم من صلة بالمستقبل أنه يصور لنا رغباتنا
التي كبّتها الماضي أو كبحها ، وقد تحققت على صعيد
الحاضر أو في فترة من فترات المستقبل ..

ان الحلم أولا وأخيرا محاولة تحقيق رغبة لم تتم ..
محاولة قد تكون واضحة ناجحة أو ملتوية متغيرة
مشوهة ، ولذلكها محاولة على كل حال ..

٩٢

فهرس

صفحة

٧	مؤلف الكتاب
	الفصل الأول :
١٢	التراث العلمي والاحلام
٢٤.....	السبيل إلى التأويل
٢٨	حلم يوليо ١٨٩٥
	الفصل الثاني :
٣٨	تحقيق الرغبة
٤٤	لماذا تتشوه الاحلام ؟
	الفصل الثالث :
٥٤	عناصر الحلم
٦٦	احلام نموذجية
	الفصل الرابع :
٧٦	عمليات الحلم الاول
٨٩	الرمزية في الاحلام

صفحة

الفصل الخامس :

١٠٤	أضغاث أحلام
١١٤	أحلام غير معقوله

الفصل السادس :

١٣٠	الحالة الانفعالية في الحلم
١٤٢	حالات انفعالية أخرى
١٤٨	لماذا ننسى أحلامنا ؟

الفصل السابع :

١٥٦	أساليب تحقيق الرغبة
١٦٤	حلم نموذجي

الفصل الثامن :

١٧٢	تطور الجهاز النفسي
١٨٠	لماذا يوغلنا الحلم ؟
١٨٣	الكريت
١٨٨	ممن اللأشعور إلى الواقع



وَكَلَاءِ بُحْلَاتِ دَارِ الْهَدْلَانِ

المسراق : السيد محمد حلمي - المكتبة العصرية
بيغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جبلة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد - ص.ب ٢١

Dr. Michel H. Tomé,
Paeito Do Colegio No.
3º Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL

البرازيل :

Mr. Hussein Abi Hassan,
P.O. Box 2561,
ACCRA, GHANA

غانـا :

Messrs. Allie Mustapha & Sons,
P.O. Box 410,
Freetown Sierra Leone

سيـراليـون :

M. Ahmed Bin Mohamad Bin Salmi,
Almaktab Attijari Asshargi,
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

سنـفـافـورـة :

ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU,
7, Bishopsthorpe Road,
London S. E. 26,
ENGLAND

انـجـلـنـترـا :

Mr. Mohamed Said Mansour,
Atlas Library Company,
126, Nnamdi Azikiwe Street
LAGOS NIGERIA

نيـجـيرـيا :

هذا الكتاب

خطت الإنسانية في هذا القرن مرحلة أكبر مما خطتها في عشرة قرون مجتمعة من تاريخها ، وفيه اكتشاف الفضاء ، فكان ذلك كائناً أضخم من كشف الامريكتين على يد كريستوفر كولومبس ، ولكن عالم النفس الإنسانية لا يمكن أن يكون أقل قيمة بحال من الحال من عالم الفضاء أو قارة من قارات الأرض و كولومبس النفس الإنسانية هو سيمون فرويد ، وسفينة التي عبر بها عن جهة المجهول من أغوار النفس هي كتاب « تفسير الأحلام » الذي نقدم خلاصته مسلطة منه بين دفتي هذا الكتاب

وقد ظل موضوع الأحلام منذ أقدم العصور مصدراً للرهبة أو التفاؤل بين عشائر الشرق والغرب ، ولم ينزل الناس في يومنا هذا بتظيرون لما تحدثهم به رؤى المنام ، ولكن سيمون فرويد الذي بذلك كلّه جانباً ، ووضع لأول مرة في التاريخ أساساً علمياً ثابت الدعائم متماسكاً الأركان لتفسير هذه الظاهرة